1063

HARLEQUIN

سجينة الذكريات

ديانا هاميلتون

ليـــــلاس

LoOoLa

ليـــــلاس

LoOoLa

سجينة الذكريات

ديانا هاميلتون

تهافتت فينيتيا، المليئة بالثقة بشبابها وجمالها، على رجل الأعمال الايطالي البالغ الجاذبية كارلو روسي مقدمة اليه عملياً، كل شيء.

ولكن صدمتها، من رفضه، جعلتها بمرور الوقت، تفلح في ان ترمي بذكريات تلك التجربة وراء ظهرها. ولكنها لم تتوقع قط ان تتبدل الأحوال، فترى كارلو يعود الى حياتها، ممتلئاً نشاطاً وفتنة، ليعرض عليها الزواج.

ولكن هذا العرض كان غرضه شؤون العمل... وقائماً على الابتزاز... انما كاركو الآن، لم يعد متعاملاً مع مراهقة ساذجة. لقد اصبحت فينيتيا الآن امرأة تعرف ما تريد... وبالرغم من عنفه المتعمد، فقد أدركت تماماً ما كان يريد...

www.liilas.com

كان تألق عينيه السوداوين، والتواء فمه، يحملان معنى لم تكن تريد أن تعرفه.

فقالت بسرعة، بلهجة خشنة تنطق بالاتهام، وقد دار لسانها دون وعي: «لماذا عدت؟»

أجاب: «لقد عدت، طبعاً، للاهتمام ببعض الأعمال التي لم تنته بعد، هل ظننت حقاً انني لن اعود للمطالبة بالذي سبق وعرضته عليّ بكل سخاء، منذ ست سنوات؟»

ليــــــلاس

LoOoLa

www.liilas.com

ليــــــلاس
LoOoLa

الفصل الأول

اندفعت فينيتيا أديل روس إلى غرفة الجلوس خالية الذهن، وقد ارتسمت على شفتيها الابتسامة التي اعتادت ان تخص بها اباها. وكانت جولة التسوق الناجحة التي قامت بها عصر ذلك اليوم، قد ملأتها بهجة ومرحاً، وجعلت عينيها، بلونهما الأزرق الباهت، تتألقان كالبلور الصافي.

بادرها ابوها قائلاً: «فيني... ما الذي أخرك يا عزيزتي؟»

لم يكن في صوته أي تعنيف، بل دفء وحنان، فهو طوال الثمانية عشر عاماً لم يوبخها مرة بشكل جدي، ولم تسمع صوته عاليا، كما انها لم تره وهو ينهض من مقعده ليقف بجانبها. وفجأة، لم تعد تضم الغرفة اللوحة الزيتية الكبيرة الحجم لوالدتها التي فقدتها وعمرها بضعة شهور فقط. وانما احتل الغرفة رجل قلب الأمور رأساً على عقب.

«كارلو روسي.»

كانت نسيت، تقريباً، انه سيحضر لزيارتهم، وابعدت ذلك عن تفكيرها، لأن حضور حفيد عم ابيها القضاء عدة اسابيع ضيفاً عليهم، لم يجعلها في خطر الموت من اللهفة.

والآن، في هذه اللحظة، ساورها شعور بالقدر الذي لا مفر منه، وتفهّم له لم تعرفه من قبل. ولكن ثانية واحدة من عمر الزمن، كانت كافية لكي تجعلها تعلم انها تقابل الرجل الذي ستحبه طوال حياتها، أو، كما يقال، الحب من أول نظرة.

www.liilas.com

كان يبتسم لها من آخر الغرفة، ابتسامة كانت مزيجاً من التهذيب والاهتمام الذي يشوبه شيء من السخرية، وكان والدها واقفاً بجانبها يمسك بيدها يضغطها قليلاً بيده وهو يقول: «تعالي يا حبيبتي وحيي كارلو.» فحولت عينيها الكحيلتين تنظران في عيني ابيها بارتباك، وهي تتقدم منه وكأنه سيحل هذه الأحجية القديمة لها، او كأنها مشكلة في امكانه ان يزيلها كما أزال من طريقها الصعوبات منذ ولادتها.

ولكن هذا لم يكن شيئاً بسيطاً، بل غاية في الأهمية لا يصل اليه حب الأب ولا سخاؤه في اغداق المال. لم يدرك ما الذي حدث، لم يدرك الارتباك الذي هزّ اعماقها لهذه المفاجأة، ولا الذهول الذي سمرها في مكانها.

هو أيضاً تملكه الارتباك لتصرفها هذا، فهو لم يستطع ان يعرف ما الذي جرى لابنته المرحة الواثقة من نفسها، لكي يبدو عليها الضياع بهذا الشكل. وقال بشيء من نفاد الصبر: «هيا، صافحي ابن عمك.» فابتسمت له وقد استعادت كل ثقتها بنفسها، ومرحها، واقتناعها بجمال الحياة. وسارت اليه، لتتحول ابتسامتها إلى انبهار صريح عندما مد كارلو روسي يده وهو يقول بصوت عميق تشوبه لكنة خفيفة: «ما دام والدانا ابناء عم، فان قرابتنا، نحن الاثنين، هي من البعد بحيث لا تكاد تلحظ.»

وتجاهلت يده الممدودة، لتقف، بدلاً من ذلك على أطراف اصابعها وتقبله على خده وهي تقول: «إن الايطاليين يعتزون بأية قرابة مهما كانت بعيدة.» وتملكتها الدهشة وهي تراه يفوقها طولاً بحيث يشرف

عليها رغم طول قامتها البالغ مائة وسبعين سنتيمتراً، وازداد شعورها بالأنوثة وهي ترفع وجهها إليه لتلتقي عيناها بعينيه السوداوين الواسعتين الرائعتي الجمال.

كان كارلو روسي رائعاً، فقد سلب قلبها، رغم رفعه لحاجبه باشارة ساخرة. ولوت فمها الممتلىء وهي تقول له، مستفزة بصوتها الذي تميزه بحة خفيفة سائلة: «من هو الذي ترك فيك اكبر الأثر، منذ وصولك إلى هنا؟» وكانت عيناها تتحديانه بمكر أن يعترف بأنها هي التي تركت فيه اكبر الأثر، وتابعت تقول: «أم ان هذا السؤال ربما ما زال مبكراً؟» وزمت شفتيها مظهرة الاستياء لاشارة عدم الاكتراث التي صدرت عن ذلك اللاتيني، وسألته: «أظنها أول زيارة لك إلى انكلترا، اليس كذلك؟»

أجاب: «ابداً، فانا أعرف بلادك جيداً... لقد جلت في انحائها أثناء دراستي الجامعية هنا.» كان جوابه رقيقاً مهذباً ولكنه بارد. وتمنت لو أنها قطعت لسانها قبل ان تلقي عليه هذا السؤال، فقد تذكرت ذلك الصدع القديم الذي حدث بين فرعي العائلة. ويا ليت السبب كان شيئاً شاعرياً كان يكون لأجل امرأة... ولكنه كان سبباً مؤسفاً يتعلق بالأعمال.

كانت فينيتيا بالغة الفطنة عندما يتعلق الأمر بأبيها، فقد شعرت بمبلغ شعوره بالحرج لأن يسكت عن حقيقة أن حفيد عمه قد سبق وأمضى سنوات في انكلترا دون أن يكلف نفسه عناء زيارتهم من باب الاحترام.

وقال والدها: «سنتأخر في تناول العشاء، هذه الليلة، يافينيتي، فاذا كنت جائعة، كالعادة، فاطلبي من بوتي ان تصنع لك الشاي في المطبخ. وحسب معرفتي، فان ثمة

www.liilas.com
www.liilas.com

اكواماً من المشتريات تملأ ارض القاعة.» وغطى تدخل والدها على سؤالها الأحمق ذاك وماتبعه من احراج ما اشعرها بالامتنان، ولكن، هل كان من الضروري أن يأتي على ذكر شهيتها القوية للطعام؟ هذا عدا عن عدم مقاومتها رغبتها العارمة في الشراء كلما ذهبت للتسوق في لندن، وما كان لأبيها ان يكشف أمامه طباعها.

نظرت بطرف عينها إلى كارلو، كان يبتسم، وكانت ابتسامته تلك مجرد التواء بسيط في زاويتي فمه، وقد لاح شيء من التسلية في عينيه. وكان هذا يكفي لكي تعلم، بكل وضوح، انه يراها مجرد طفلة.

وتمتمت شيئاً، ثم اتجهت نحو الباب وهي تفكر بغضب، انها ستثبت له... لا بد أن تثبت له يوماً أنها ليست مجرد طفلة يتسلى بمرآها. وصفقت الباب خلفها بعنف.

كانت فينيتيا تدرك انها تجتذب الانظار ايتما تكون، وأن نظرات الاعجاب من الرجال تتبعها في الشوارع، والمطاعم، والحفلات. فبأي حق اذن، ينظر اليها كارلو وكأنها طفلة خارجة لتوها من المهد؟

ولكنها ما لبثت أن اعترفت، في قرارة نفسها، وهي تجتاز القاعة التي كان جوها يعبق بشذا ورود الحديقة المنبسطة، والتي تشرف عليها منافذ القاعة تلك، بأنه، على كل حال، رجل متميز.

تذكرت فينيتيا اباها وهو يحاول أن يتذكر عمر كارلو الذي لم يكن قد رآه منذ كان يرتدي بنطلوناً قصيراً. هل عمره احدى وثلاثون سنة ام اثنتان وثلاثون. ثم انه غير متزوج، وهي تعرف هذا جيداً، وهذا يعني ان له صداقات مع

النساء اكثر من المعقول، ما دام بهذه الجاذبية التي تفتن القلوب.

ثم انه، بالنسبة إلى النساء لا يمكن أن يختار المراهقات طبعاً. لشد ما كانت تكره هذا اللقب! لا بد انهن ذكيات متزنات مستقلات الشخصية ولا ياكلن بنهم، ويرتدين الملابس الأنيقة التي لا عيب فيها، وهن كذلك حريصات على ألا يبعثرن مشترياتهن التافهة على ارض القاعة. نساء لا يعقصن شعرهن في ضفيرة إلى الخلف ولا يبدين ببنطلون جينز مغسول وقميص مقفول فضفاض.

لو تعلم أنها ستصعق لمجرد رؤيته لاندفعت مباشرة إلى غرفتها لترتدي ثوباً افضل وتطلق شعرها كالحرير. وتأرجحت وقد غادرت غرفتها لأول مرة في حياتها، ثقتها في نفسها، وشعرت بالتعاسة.

ولكن مشترياتها كان لها بعض الفضل في اعادة تلك الثقة. صحيح انها انفقت كل ما اعطاها أبوها، ولكنها اشترت اشياء ممتعة حقاً! كما أن لديها وقتاً كافياً، قبل أن يحين موعد العشاء، لتصلح من هندامها، لتبدو امامه في أجمل منظر. لقد اعتادت دائماً أن تنال ما تريد، فقد كان في امكانها ان تؤثر على أبيها.

كانت في منتصف السلم وهي تحاول جهدها، أن تحكم امساك العلب التي تحتوي مشترياتها والتي كانت تفلت من بين يديها لتتبعثر هنا وهناك، عندما رأت السيدة بوتس تهبط السلم. كانت بوتي امرأة بدينة قصيرة القامة مكنتها طبيعتها الوديعة المسالمة من أن تعالج اية صعوبة أو أزمة. وقد اصبحت مديرة ابيها بعد موت والدتها المفجع

www.liilas.com

مباشرة، وما أن ابتدأت فينيتيا تتعلم الكلام، حتى اصبحت تدعوها (بوتي) وهكذا اصبح هذا اسمها الذي يدعوها به الجميع.

وقالت بوتي وهي تأخذ منها هذا الحمل: «دعيني اساعدك.» وعادت تصعد معها السلم لتلقي بها على سريرها وهي تقول: «لعلك انفقت ثروة اخرى على كل هذا.»

أجابت متجاهلة لهجة بوتي المتذمرة: «انك تعلمين أنني لا أستطيع المقاومة.» وتابعت وهي تفتح احد تلك الصناديق، قائلة: «هذا إلى انني اشتريت اجمل ثوب وقعت عليه انظاري.»

وأخرجت ثوباً من الساتان الأسود وهي تسألها: «ما رأيك؟ أليس أجمل ثوب وقعت عليه انظارك؟ أليس هو قرينة بشكله؟ انه سيجعل عيني كارلو تخرجان من حدقتيهما.»

فأجابت باستنكار: «انه يبدو رائعاً. اذا كنت تريدين رأيي، فهو ليس لائقاً. وابن عمك اكبر وانكى من ان يهتم بما تلبسين، فوفري جهودك. والآن...» واتجهت نحو الباب وهي تتابع: «ما رأيك بفنجان شاي وقطعة أو اثنتين من الكعك بالشكولاته؟ يمكنك أن تتناولي ذلك في المطبخ وتخبريني عن بقية ما ضيعت فيه نقود ابيك، بينما أنا أقوم بتجهيز العشاء.»

وتملك فينيتيا الإغراء إذ ليس ثمة من يصنع الكعك بالشكولاته كما تصنعه بوتي، وسيسرها الحديث عن مشترياتها، كما ان الغداء مر عليه وقت طويل... ولكنها أجابت: «كلا. شكراً يا بوتي. سأنظم مشترياتي هذه، ثم استحم لاحقاً.»

www.liilas.com

كان قوامها، ممشوقاً حسن الشكل لا عيب فيه، ولكن، إن لم تتحكم في شهيتها فستنتهي إلى أن تصبح بدينة تماماً. ومنحت بوتي ابتسامة حلوة ثم استدارت تنظم اشياءها.

إذا كان للحب هذه المقدرة في جعلها تقاوم الاغراء أمام كعكة الشكولاته، فمرحباً بالحب.

ولكن للحب ناحيته الخطرة، كذلك، فهو يخيفها نوعاً ما... وقد اعترفت لنفسها بذلك وهي في حوض الحمام المعطر. تعرف انها كانت مدللة طوال حياتها ولكن، عندما يضرب والدها بقدمه الأرض، فتعلم انه مصر على ما يريد، رغم كل محاولة من جانبها لتحمله على تغيير رأيه.

وهذا هو السبب في أن مواعيدها مع الأصدقاء كانت محدودة، ومرافقوها يختارهم لها أبوها بنفسه بكل عناية. هذا كله، إلى جانب ثقافتها التي تلقتها في مدرسة محافظة تحت اشراف المدرسات المتزنات. كان يعني انه، حتى اكثر التلميذات عناداً ومهارة، لا يمكن ان تتخطى الحدود لحظة واحدة. كما أن خبرة فينيتيا قليلة إلى حد مؤسف، والمشاعر التي أثارها فيها كارلو روسي، والطريقة التي تقفز فيها قلبها حين وقعت انظارها عليه، أو كلما فكرت فيه. ثم هذه المشاعر الحلوة التي أخذت تنتابها لدى تصورها لقاءه مرة أخرى حين تبدو بمظهر المرأة الناضجة وليس التلميذة الكبيرة الجسم ذات الضفيرة، كان كل هذا جديداً عليها مما شعرت معه بكثير من البهجة وايضاً بشيء من الخوف. حتى سيمون كيرو، الذي كان اكثر مرافقيها انتظاماً في اصطحابها خارج المنزل، لم يستطع ان يجعل تفكر هكذا.

www.liilas.com

كان سيمون، ذو الخامسة والعشرين، منتصب القامة له جانبية لا تنكر بشكله السكسوني الأشقر. وقد رقي اخيراً إلى رتبة مساعد شخصي لأبيها في الشركة. وكان هو مرافقها المعتاد إلى الحفلات والسهرات التي لا يتمكن ابوها من حضورها.

كان والدها يثق بسيمون تماماً. ولا شك في ان عينيه كانتا ستبرزان من حدقتيهما لو علم أن فتاه الأزرق العينين هذا، يحاول اغواء فتاته الغالية. أما الذي لم يستطع ان يفهمه، فهو ان فتاته في امكانها العناية بنفسها، كما في استطاعتها التملص من مغازلات سيمون. فهي لم تكن لتهتم به حتى عندما عرض عليها الزواج. وقد اخبرته بذلك. ولا يمكن ان تخبر أباها برغبته، إلا ان وضعه كمرافق لها سيتوقف حتماً، لتجلس حبيسة المنزل إلى ان يجد لها ابوها فتى آخر يكون مرافقاً لها.

وقررت، وهي تبتسم راضية، أن في امكانها رعاية نفسها، لكن رضاها سرعان ما تلاشى وهي ترتجف، اذ تستعيد صورة عيني كارلو المتألقتين الخلابتين. انها لن تهتم ابداً برعاية نفسها اذا ما امتلأت تلك العينان العميقتان السوداوان بالعاطفة!

وكاد ارتداء ملابس العشاء، ان يصبح مستحيلاً وهي في هذه الحالة. فبعد أن مزقت زوجين من الجوارب السوداء المصنوعة من الحرير الخالص، تمالكت مشاعرها لتهتم بما بين يديها حالياً، صارفة اهتمامها عن مشاعرها المحيرة منذ وقعت عيناها على ذلك الايطالي.

أثناء انتظارهما زيارة كارلو، كان أبوها يأتي، غالباً،

www.liilas.com

على ذكر الفرع الايطالي من اسرتهم، وكانت تستمع اليه على سبيل المجاملة، متكلفة اهتماماً لم تكن تشعر به. ولكن الأمور الآن اصبحت في غاية الأهمية، فقد اصبح كل شيء يتعلق بكارلو، موضع اهتمامها.

لقد انشقت الشركة منذ اكثر من مئة عام، بعد أن جاء جدها الأكبر من ايطاليا إلى انكلترا لانشاء فرع لها. ومنذ ذلك الوقت اصبح فرع الأسرة، الذي انحدرت هي منه، انكليزياً. وعندما نجحت الشركة في البيع بالتجزئة، انتقل النجاح إلى التصدير بالسفن.

ولكن فرع الأسرة الايطالي، ازدهرت اعماله، هو ايضاً. فامتلكوا واحداً واربعين من الأسهم في الشركة البريطانية، في الوقت الذي كانوا فيه يوسعون تجارتهم في ايطاليا وفرنسا ايضاً، مقتنين المزارع حول فالنسيا والفنادق المترفة في كل مدينة رئيسية في العالم.

أما الذي جعل كارلو اكثر ثراء وقوة من أبيها، فهو كما فهمت من حديث ابيها، أن والد كارلو الذي كان مريضاً منذ عدة سنوات، قد سلم مسؤولية ادارة امبراطورية روسي، عملياً ان لم يكن اسمياً، إلى ولده كارلو.

والأكثر من ذلك أن زيارة كارلو كانت عبارة عن غصن الزيتون لينتهي هذه الفترة من الجفاء التي استمرت منذ كان والدها صغيراً، خصاماً حول مجموعة من الأسهم في قسم الشركة البريطاني. وأخذت تفكر حالمة وقد ساورها الاغتباط، في انها وكارلو، لو تزوجا لتوحد الفرعان لتعود الشركة متحدة.

وهذا غير مستحيل، طبعاً...

جلست تنظر إلى صورتها في المرآة وهي تفكر في ان نلك محتمل تماماً.

في هذه الليلة، ستدع شعرها مرسلاً إلى خصرها، تثبته إلى الخلف امشاط مذهبة، وستبالغ في وضع الزينة على وجهها ليبرز لون بشرتها الأشبه بالقشدة وكثافة اهدابها السوداء.

أما ثوبها الغالي الثمن، فقد كان يستحق كل قرش دفعته فيه.. هذه الليلة، لن ينظر كارلو روسي إليها كمراهقة كبيرة الجسم.

جعلتها الثقة بالنفس التي تلازم اولئك الذين اعتادوا ان ينالوا كل ما يريدونه في الحياة، بسهولة، تهبط السلم بخفة وكأنها تطير طيراناً بحذائها الأنيق الخفيف ذي الكعب العالي. ورأت بوتي بمفردها في غرفة الجلوس الأنيقة، التي بادرتها قائلة: «إن أباك في غرفة المكتبة مع ضيفه ولا أظنهما سيخرجان قبل موعد العشاء. ثم أليس من الأفضل ان تضعي فوق فستانك بجاكتة او ما اشبه؟»

أجابت بمودة ساخرة: «جاكتة؟ يا لك من امرأة قديمة الطراز.» وكانت مدبرة المنزل تسكب لنفسها كوب عصير، فسكبت فينيتيا لنفسها واحداً وهي تتابع: «انه، على كل حال، مساء جميل دافيء وأنا لا أشعر بالبرد مطلقاً.»

فقالت بوتي بحدة وهي مازالت ترمق ثوب الفتاة باستياء: «إن حرارة الجو ليست هي التي تهمني. ولكن منظرك غير لائق. ماذا سيظن بذلك والدك المسكين؟ ولا أقول ابن عمك؟ ان تصور ذلك يجعلني ارتجف! ان الشيء الذي ترتدينه لا يليق بك.»

ارتسمت على شفتي فينيتيا ابتسامة ماكرة وهي تفكر

www.liilas.com

ان هذا بالضبط ما كانت تهدف إليه. وتجاهلت تذمر بوتي الذي لا ينتهي وحملت كوبها في يدها وخرجت إلى الشرفة.

كان هواء المساء الدافيء عابقاً بأريج الورود، وكان يلامس بشرتها برقة. وكان منظر نافذتي غرفة المكتبة المفتوحتين اللتين كانت تراهما من حيث تجلس، اكثر مما تحتمله اعصابها.

لم تحلم قط بأن تقاطع، مرة، أباها اثناء أحاديثه العملية الخاصة في المكتبة. فقد كان احترامها له اكبر من ان يسمح لها بذلك، ولكن حاجتها إلى أن تمتع ناظريها بمنظر كارلو الجذاب، وان تريه نفسها كامرأة ناضجة، كان كل هذا أقوى من ان تستطيع مقاومته في هذه اللحظة.

ان كعب حذائها العالي، جعلها تمشي دون وعي منها، بشكل متمايل وهي تتوجه نحو غرفة المكتبة المبطنة الجدران بالكتب، وعلى شفتيها ابتسامة هادئة واهدابها السوداء الكثيفة متسدلة على عينيها وهي تقول بصوت ابح: «ان المساء اجمل من ان يضيع سدى بين الجدران، الا تريدني ان اريك الحديقة، يا كارلو؟»

التقت عيناها بعينيه متحدية. وتصاعدت خفقات قلبها وهو ينهض من على المقعد الجلدي. لقد كان هو ايضاً مرتدياً بذلة العشاء التي كانت عبارة عن الجاكيت الرسمية السوداء المعتادة والقميص الأبيض. واخذت عيناه الرائعتان تتفحصان عينيها لحظة طويلة، بنظرات يقظة متسائلة ثم التمعتا بينما لاحت على شفتيه شبه ابتسامة، وذلك كجواب على تحديها الخفي ذاك.

ولمحت، بطرف عينها، اباها ينهض ايضاً من على

كرسيه خلف مكتبه الضخم المكسو بالجلد، شاعرة بعدم رضاه لمقاطعتها لهما. ومن يدري؟ ربما خمن السبب في هذا. وصرفته عن ذهنها الذي كان مركزاً، فقط على عيني كارلو وهما تقيمان ثوبها.

واستدار إلى أبيها الذي بدت على جانبي فمه ابتسامة خفيفة وهو يقول: «لمَ لا؟ وربما ستأتي انت معنا، يا سيدي. فالمساء رائع كما تقول فينيتيا.»

وتنفست بارتياح عندما أجاب الرجل المسن قائلاً ببطء: «كلا، اذهبا انتما، وأري كارلو الحديقة المائية يافيني، ولا تنسي الوقت. فان يوني ستقدم العشاء في خلال ساعة.»

أجابته فينيتيا بابتسامة مشرقة: «كلا، لن أنسى ذلك.» وقطب أبوها جبينه بحيرة وهي تتقدم إلى جانب كارلو متجهة به نحو الباب الخارجي.

كانت كلماته غامضة متكلفة في مضمونها وهو يقول: «أليس من الأفضل أن تتركي من يدك كوب العصير، وتشربيه فيما بعد؟ فلا أحد سيسرقه منك.»

وكأنها طفلة لم يستطع ان يغريها بقطعة حلوى لكي تذهب، رفضت ان تهزم، فوقفت على قمة السلم ومنحته ابتسامة مسرعة وهي تقول له بصوت رقيق: «يمكنك ان تسرق مني أي شيء، في أي وقت تشاء.» ووضعت حافة الكوب على شفتيها، وعيناها تتألقان بين اهدابها السوداء.

وقال فجأة: «فلنذهب إلى حديقة الماء، اذن.» وهزت كتفيها بخفة وقد كرهت هذا الشعور الجديد بعدم الثقة، وأخذت تراقبه بعينين غائمتين وهو يضع الكوب باحتراس على حافة الدرابزين ثم يهبط الدرجات إلى الحديقة.

تمالكت نفسها، ثم لحقت به بسرعة مما جعل أحد كعبي حذائها يلتوي.

سألها: «لا أظنك ارتديت هذه الملابس لتخرجي بها!» وكان صوته من فولاذ ملفوفاً بالحرير وهو ينحيها جانباً بيدين ثابتتين.

استعادت توازنها بشكل كافٍ لتقول له بصوت خافت: «هذا هراء. انها نزهة فقط. لقد دخل كعب حذائي في شرخ بين الأحجار. ما أسخف هذا.» وتعلقت بذراعه بمثل الشدة التي أمسكها هو بها ثم سارا في الممر المرصوف بالحصى.

كان في امكانها ان تشعر بانسحابه، وكأن ابتعاده المتعمد ذلك يقصد به ترساً يحتمي وراءه. ولكن هذا لم يقلقها في الواقع. ولماذا تقلق بينما كان في امكانه ان يستدير عائداً إلى البيت رافضاً الاستمرار في السير لرؤية الحديقة؟ ولكنه لم يرفض، وشعرت بالبهجة لذلك. لقد بقي بجانبها وكان يسير بخطوات قصيرة لتتلاءم مع خطواتها.

ابتسمت لنفسها وهي تلقي نظرة خاطفة على جانب وجهه بخطوطه الحازمة المتعالية. انه لم يكن يستغفلها! لقد احست بشيء يختلف كثيراً عن مشاعر القربى وهو يقيم شكلها كما انتابها ذلك الشعور الخلاب بصلة القربى بينهما الذي كان من القوة بحيث لم يكن من المعقول ان لا يكون قد انتبه إليه.

قالت بصوت خفّف من حدة الصمت بينهما: «ذاك هو المكان تقريباً.» كانت تريد أن تبين له أنه كان على حق عندما قال انها لم تكن مرتدية ثيابها للخروج. ذلك أن

www.liilas.com

التنورة، والكعب العالي لم يكونا ليسمحا لها بأن تخطو على تلك الممرات المرصوفة بالحصى او على المروج الخضراء. وتابعت كلامها تسأله: «كم ستمكث هنا؟» كانت تكلمه وهي تهبط باحتراس الدرجات الحجرية المغطاة بالطحالب تحت قنطرة في سياج الأشجار العالي الذي يفصل بين الأراضي.

أجاب: «أسبوعين أو ثلاثة.» ورفع كتفيه بعدم اهتمام، ولكنها تجاهلت هذا. فاذا كان يتعمد اظهار عدم اهتمامه بها، فهي كذلك ستتعمد أن تظهر له انها لم تلحظ حيلته تلك.

قالت: «إنه وقت كاف لكي أريك كل شيء.» ونظرت إليه بعينين تومضان ببارقة أمل [illegible] ملامح وجهه العديمة المشاعر وهي تتخيل النزهات الطويلة في الريف وتناولهما العشاء في المطاعم، وربما رحلات بالسيارة في جبال وايلز...

وسألها: «هل مازلت تذهبين إلى المدرسة؟ أم انك تعملين؟» وانتظر بأدب إلى أن هبطت آخر درجة حجرية، حتى أجابت بمرح: «المدرسة؟ طبعاً لا.» متظاهرة، بهذا الجواب، بأن أيام الدراسة هي الآن ذكرى غائمة بعيدة، لاتريد ان تخبره بأن آخر امتحان لها كان منذ ثلاثة اسابيع فقط، فتذكره، بذلك، بعمرها الصغير. وتابعت تقول: «انظر، ها اننا وصلنا.» وكانا قد دخلا كهفاً مليئاً بصوت ورائحة الماء.

ولكن، لم يبد عليه الاهتمام بحديقة الماء هذه. وألقى عليها نظرة باردة من عينيه السوداوين وهو يسألها: «هل أنت مصممة على العمل؟ ربما مع الشركة؟»

فأجابت مقطبة جبينها وهي تعض شفتها السفلى: «آه، من يعلم؟ دعنا من الحديث في هذا الموضوع.» ولماذا تضيع الوقت في احتمال عملها في شركة ابيها، في الوقت الذي لا تريد شيئاً سوى أن تمضي بقية حياتها معه؟

نظرت في عينيه بتردد فلم تجد شيئاً سوى عدم الاهتمام والبرود، وشعرت في قلبها بطعنة الم. فهو لا يشعر نحوها حتى بالاعجاب. اتراها عاشت حياتها تحصل على كل شيء تريده دون اي مجهود، لكي تحرم الآن اهم ما تتوق اليه وما تعتبره فوق كل شيء آخر؟

ارتجفت وهي تشعر بالبرودة تنفذ الى عظامها، واغرورقت عيناها بدموع الخزي. قال لها كارلو وقد التوت شفتاه بابتسامة مرحة: «إن المكان هنا رطب. كان عليك أن ترتدي فراءك. واظنك تملكين منها زوجاً على الأقل؟»

ردت عليه بحدة: «املك ستة منها تبعاً لآخر احصاء.» فقد شعرت بالألم ازاء سلوكه المتعالي الساخر هذا، ولم تشأ ان تتنازل بأن توضح له انها تكره الفراء من كل قلبها وانها تراها ملائمة اكثر للحيوانات. لقد استحال اضطراب مشاعرها الذي تملكها منذ وقعت عيناها عليه، إلى كراهية محمومة. وانقبضت يداها حتى غرزت أظافرها المصبوغة في راحتيها، وقابلت اللوم المتسائل الذي حوته نظرته اليها، بعداء واضح إلى أن داخلها الألم. وانعكس شعورها بأنها جرحت، في الأعماق، من عينيها وهي تخفض بصرها محاولة ان تكبح دموعها المحرقة.

لم تكن تعني ان تتطور الأمور بهذا الشكل مطلقاً؛ وعاد

www.liilas.com

اليها الشعور بالبرودة الذي لم يكن نتيجة لبرودة الجو أو رطوبته، أو البحيرة الساكنة، أو الصخور ذات الطحالب...

استدارت بسرعة، فالتف شعرها الحريري حول كتفيها، وهي تعمل خطواتها نحو الدرجات، بينما قلبها يخفق، وقد انتابتها غصة في حلقها، ولكنه اوقفها عن السير وهو يديرها نحوه بيديه الكبيرتين لتواجهه، قائلاً: «اذا انت مشيت بهذه السرعة فستقعين وتكسرين رقبتك. او تتلفين حذاءك الجميل، على الأقل.» وتغيّر صوته فاصبح أجش وهو يراقب تفاعل مشاعرها على ملامحها الشاحبة لتعصف بعنف في اعماق عينيها الجميلتين.

قالت: «انني...» ولكنها لم تستطع متابعة الكلام، وخفضت اهدابها.

قال بصوت خشن وقد توتر فمه: «لم اكن اقصد ان أسيء اليك.»

وارتفعت اهدابها اليه وقد تملكها الاضطراب، وما رأته في تلك العينين السوداوين، جعل قلبها يكف عن الخفقان، ورأته يغمض عينيه، وسمعت آهة خافتة تخرج من اعماقه، ثم قال: «هيا بنا قبل أن نتأخر عن موعد العشاء. هيا يا فتاتي الطيبة.»

ومالت فينيتيا برأسها ترمقه بنظرة ظافرة طويلة، ثم منحته ابتسامة جذابة وهي تتبعه دون اعتراض. ربما كان يعتبرها فتاة صغيرة.

قريباً، قريباً جداً، ستتمكن من هزمه لتجعله يبدل رأيه فيها.

الفصل الثاني

لكن الأمر لم يكن سهلاً، فقد كان لكارلو روسي إرادة حديدية. لقد تتابعت الأيام، وهو رافض لكل اقتراحاتها عليه بالخروج للتجوال في أنحاء المنطقة، وذلك بابتسامة هازئة مفضلاً، كما يبدو، قضاء الوقت في مكتب والدها، ليعود معه عند المساء، تاركاً فينيتيا تضرب بقدمها الأرض، ثائرة.

وأثناء وجبات العشاء الطويلة البطيئة التي كانت تدوم طوال المساء، كان يحرص على أن يكون حديثه إليها بالغ الأدب. وعندما لا يتحدث عن العمل، فقد كان يتحدث عن بلاده، مذكراً أباها بجذوره المنسية.

ولكن فينيتيا لم تفقد الأمل. فقد كانت تفاجئه، أحياناً، وهو يرمقها بنظرات حيرى. وبما أنه كان يقيم حاجزاً بينه وبينها، فقد أصبح همها أن تخترق هذا الحاجز.

ان كل يوم كان يمر، وكل ساعة منه، كانا يقويان حبها ورغبتها فيه. لم يكن يهمها أي شيء آخر، فقد تعمقت مشاعرها تجاهه، في نفسها، حتى شملت كيانها كله. ولأول مرة في حياتها، لم تحصل على ما تريد.

خرجت بوتي إليها تخبرها بأن ثمة مكالمة هاتفية لها، وكانت هي تجلس في الشرفة تضرب بقدمها الأرض، ساخطة. لقد استيقظت هذا الصباح، فارتدت بنطالاً وقميصاً مقفولاً. كان هذا اليوم هو السبت فهو لن يذهب مع أبيها إلى

www.liilas.com

المكتب، ولهذا صممت على أن تقنعه بأن يقضي الوقت معها، إما بالنزهة أو بالخروج إلى المطاعم والمقاهي أو بأي شيء آخر... ولكنه سبب لها صدمة بالغة عندما علمت من بوتي أنه قد سبق وخرج من المنزل منذ ساعة، لكي يتفرج على هذه الأنحاء من الريف.

وبقيت في الشرفة، تلعن نفسها لاستغراقها في النوم حتى السابعة بينما لو كانت خرجت من غرفتها قبل ذلك بساعة، لأمكنها أن ترافقه. لقد كان رجلاً صعباً حقاً. كيف يمكنها أن تخترق ذلك الحاجز إذا هو رفض البقاء مدة أطول لكي تتمكن من المحاولة؟

عندما دخلت غرفة المكتبة لتلقي المكالمة، كانت أفكارها مشغولة تماماً بكارلو روسي. وعبست وهي تسمع صوت سيمون الهادئ الرقيق يقول: «آسف لإزعاجك. ولكنني أريد أن أثبت موعدنا لهذه الليلة.»

فرددت كلامه دون أن تفهم وهي ترد خصلة من شعرها إلى خلف أذنها قائلة: «هذه الليلة؟»

أجابها مرحاً: «الليلة يصادف ذكرى مولد صديقتك الثامن عشر! هل تذكرت؟ متى آتي لاصطحابك؟»

فقالت: «آه، تلك الحفلة.» كانت قد نسيت كل شيء عن حفلة ناتاشا. وما كانت عادة، لتغفل عن مثل هذه المناسبة. ولكن بالنسبة إلى ظروفها غير العادية الآن، ليس ثمة شيء يمكنه أن يبعدها عن منزلها مهما كانت الحفلة رائعة. فالأمل كان ضعيفاً، ورغم هذا فإنها تفضل قضاء الوقت مع كارلو. وقالت تجيبه: «لقد غيرت رأيي.» واستطردت عندما ساد الصمت الطرف الآخر من الخط، لتقول: «إنني آسفة، كان علي أن أخبرك قبل الآن. ولكن عندنا ضيف في البيت، وأنا مشغولة تماماً

بالعناية به. لا بد أنك قابلته. إنه كارلو روسي...» حتى ذكر إسمه على لسانها يرسل في نفسها الشوق إليه. وتابعت تقول بصوت متقطع: «لقد كان يتبع أبي إلى المكتب كل يوم.»

أطلق سيمون ضحكة قصيرة هازئة وهو يجيب: «إنه لا يتبع أحداً. إنه هو الذي يجر كل شخص خلفه. لقد قلب شبكة الأقسام كلها رأساً على عقب. ودقق في جميع الحسابات بعدسة مكبرة، جاعلاً كل شخص هنا يعمل بأقصى طاقته.»

فقالت تسأله وقد تألقت عيناها: «هل في إمكانه أن يقوم بكل ذلك؟» ولم تكن تشك في مقدرته على استلام المسؤولية أينما كان. فقد كانت هالة الثقة بالنفس والسيادة التي تحيط به هي من جملة الميزات التي جذبتها إليه.

أجابها سيمون بجفاء: «عليك أن تصدقي ذلك. لقد تنازل له والده عن الأسهم التسعة والأربعين التي يملكها في فرع الشركة في بريطانيا، مما منحه سلطة كبرى. إلى جانب انه نفسه، شخصية مسيطرة. ذلك أن نظرة واحدة منه تحمل كل شخص على اتباع الطريق. فانتبهي.» وتابع بحقد: «لا جدال في أن امكانيته على التنظيم فريدة. فهو يجد الحل للمشكلة حتى قبل أن يدرك أي واحد منا أن ثمة مشكلة أصلاً.»

كان في إمكان فينيتيا أن تستمر في سماع مثل هذا الحديث لساعات طويلة، ولكن سيمون كان له رأي آخر، فعاد يسألها: «هل أنت متأكدة بالنسبة لهذه الليلة؟ سيكون هناك الكثير من المرح والتسلية، ويمكننا، فيما بعد، أن نذهب إلى مطعم. وليس من الضروري ان يعرف العجوز، متى تنتهي حفلة صديقتك.»

ولوت فينيتيا ملامح وجهها عابسة قبل أن تقفل السماعة في وجهه وهي تقول: «ويحك.»

www.liilas.com

لقد تجاوز سيمون بغروره، الحدود حقاً. فقد كان عليه أن يدرك أنها تتجاوز محاولاته لتقربها إليه، وذلك إذ تقابلها بالهزء، فقط لأنها، إذا هي تركته، فإنه يتعين عليها البقاء في البيت، بعيدة عن كل مرح وتسلية، إلى أن يجد لها والدها مرافقاً آخر يمكن أن يثق بسلوكه تجاه ابنته الغالية. ولكن، إذا هو ابتدأ يبدي عدم الاحترام لأبيها بأن يدعوه بالعجوز، وعارضاً عليها أن يخدعاه، فهي على استعداد لأن تلقي به بعيداً دون أسف، مفضلة، على تلك البقاء في البيت. ثم أن كارلو هو الرجل الوحيد الذي تريد أن تكون معه. وحنت كتفيها وهي تخرج من غرفة المكتب.

وفجأة، توقفت عن السير في منتصف القاعة الفسيحة بعد أن طرأت في ذهنها فكرة بناءة، فكرة صائبة لا يمكن أن تخيب.

لاحت على شفتيها ابتسامة، وتألقت عيناها وقد عاودتها الثقة بنفسها التي افتقدتها منذ أيام. واستدارت إلى بوتي التي كانت داخلة من الباب الأمامي تاركة إياه مفتوحاً لكي تدخل الشمس الدافئة. فقد كانت تنظف مقبض الباب النحاسي. استدارت إليها قائلة: «هل ذكر كارلو الوقت الذي سيعود فيه؟»

«لم يذكر شيئاً، ولم أسأله. ولكنه يمكن أن يكون هنا في موعد الغداء تقريباً.» وحملت الصندوق الذي يحوي أدوات التنظيف تحت إبطها وهي تتابع قائلة: «ولهذا، لو كنت مكانك لما بقيت أطوف طوال الصباح في انتظاره. ثم عندي نصيحة لك، وهي ألاّ تظهري تهافتك عليه. فما أسرع ما تنسين هذا كله وترين نفسك أنك كنت حمقاء. وستندمين على الأوقات التي كنت تدورين فيها حوله.»

وعندما رأت الثورة على وجه فينيتيا الشاحب، لطفت من لهجتها وهي تتابع قولها: «إن الذي سيتضرر في النهاية هي كرامتك، يا حبيبتي. إنني أدرك مبلغ جاذبيته، وأية امرأة تنكر هذا؟ ولكن، عدا عن أنه كبير السن بالنسبة إليك، ربما لديه الآن نصف دزينة من النساء الجميلات هن في انتظار عودته. والآن...» وألقت نظرة على ساعة الجدار وهي تتابع: «إنها التاسعة والنصف. ألم ينزل والدك من غرفته بعد؟ ليس من عادته أن يتأخر في سريره إلى هذا الوقت.»

فأجابت فينيتيا ببرود: «إنني لم أره هذا الصباح.» كان الغضب يتملكها. كيف تجرؤ على اعتبار شعورها نحو كارلو، تهافتاً؟ إنها ليست طفلة. إنها تحب كارلو وستبقى تحبه على الدوام. وما الذي تعرفه بوتي عن الحب وعمرها خمسون عاماً؟

واستدارت على عقبيها وقد رفعت كتفيها بعناد، ومشت نحو الباب الرئيسي، حيث أخذت تستنشق الهواء الطلق ملء رئتيها.

حدثت نفسها، وهي تتمشى نحو الطريق الرئيسي، شاعرة بأشعة الشمس تلهب ساعديها، بأن هذا النهار سيكون شديد الحرارة. وعادة في يوم كهذا، كان يسرها أن تمضي عدة ساعات في الداخل أو الخارج عند حوض السباحة خلف المنزل، ولكنها كانت من القلق بحيث لم تفكر بمثل هذا الأمر.

هذا إلى أنها كانت في حاجة إلى أن ترى كارلو. فهي لا يمكن أن تغامر بفقده مرة أخرى بعد عودته. فقد سبق وخططت لفكرة متكاملة لكي تكون معه، وهذه الفكرة لا يمكن له أن يرفضها مطلقاً.

وجلست على الدرجة الأخيرة التي تقود إلى الباب الرئيسي، مسندة ظهرها إلى العمود ذي الأركان الذي ينتهي

www.liilas.com

بقصرية يتدلى منها، معرشاً، نبات إبرة الراعي القرمزية، وأخذت تستنشق شذاه العطر وقد صممت على ألا تتزحزح من مكانها هذا، مهما طال الأمد عليها. ولكنها ما لبثت أن رأت كارلو يظهر من بعيد متوجهاً إلى المنزل. وتصاعدت خفقات قلبها لدرجة أذهلتها، ووقفت متصنعة الظهور بمظهر البرود والهدوء. إن كل شيء يعتمد على كيفية عرضها للدعوة. فهي ستوجهها بصيغة تجعل من المستحيل عليه رفضها، وأنه، إذا فعل تلك فسيكون قد تصرف بشكل فظ بالنسبة إلى ضيف عند أبيها.

وببطء ابتدأت تتقدم نحوه محاولة أن تظهر وكأن ليس ثمة ما يبهج في العالم أكثر من الجو الرائع هذا. ولكنها، في داخلها، كانت في منتهى الاضطراب. فقد كان قلبها يخفق بشدة كادت تخنقها لأنه، إذا رفض دعوتها هذه، فستفقد آخر أمل في أن يحبها ولو قليلاً.

وسألته بصوت بارد: «هل استمتعت بتزهك؟» ولم تكن تظهر شيئاً سوى الاهتمام المؤدب.

أجاب بإيجاز: «كثيراً جداً.» ولم يظهر عليه ما إذا كان مسروراً برؤيتها أم لا. وتابع يسألها: «هل والدك هنا؟ إنني في حاجة إلى الحديث إليه.»

«إنني لم أره هذا الصباح.» وتذكرت بشكل مبهم، شيئاً قالته لها بوتي هذا الصباح عن تأخر والدها في غرفته على غير عادته، ونبذت هذه الفكرة من رأسها على الفور، إذ أن هذا المشهد بأكمله، بدا وكأنه يهرب منها بعيداً.

أسرع كارلو خطواته فاضطرت إلى الإسراع في خطواتها لكي تلحق به، وبدا وكأن خطتها في طريقها إلى الفشل.

www.liilas.com

وقالت تسأله: «هل تصنع معي معروفاً؟» وكانت أنفاسها تتلاحق وهي تسأله ذلك وقد تلاشت لهجة الدلال التي كانت تعتزم مخاطبته بها وذلك بإسراعه الخطى نحو المنزل.

عندئذ تجمد في مكانه، واستدار ببطء لمواجهتها، وهو يقول ذاهلاً يطمئنها بلهجة جادة مهذبة: «هذا طبيعي إذا كان في إمكاني.»

أرغمت نفسها على الثبات في مكانها.

وسألها بعدم اكتراث وعلى شفتيه ابتسامة جافة وهو يدس يديه في جيبي بنطاله: «حسناً؟»

فقالت: «إنني...» وتبخر من ذهنها كل ما اعدته من كلام. ولكي تتمالك نفسها، تنفست بعمق وهي تراقبه، شاعرة بالظفر وهي تراه يتأملها.

قالت وهي ترتجف قليلاً: «حسناً. في الواقع أن إحدى صديقاتي ستقيم حفلة هذه الليلة في فندق سافوي. وقد وعدتها بالمجيء وأنت تعرف كيف تكون...» وهزت كتفيها قليلاً وهي تتابع: «إنني لا أريد أن أخيب أملها. وأبي يخشى أن أضيع إذا ذهبت بمفردي، فهل يمكن أن تسدي إلي جميلاً بأن تكون مرافقي.»

حبست أنفاسها وهي تتمنى قبوله، وأخذت تراقب وجهه، وقد اتسعت عيناها متوسلة دون وعي منها. وعضت على طرف لسانها بعصبية وهي تراقب توتر فمه، ليقول بعد ذلك، ببرود: «إنني متأكد من أن الحفلة ستكون بهيجة. على كل حال، بما أنني مسافر إلى روما غداً. فإن وقتي هذا المساء مشغول جداً.»

نظرت إليه ذاهلة، وقد بدا عليها الارتباك، ثم توترت لهذه الجملة القاسية. فهو لم يرفض طلبها فقط، بل سيترك البلاد

غداً. كيف يمكنها أن تحتمل هذا؟ لقد كرهت هذا الضعف فيها، وكرهته لتسببه في كل هذه الآلام لها. وسمعته يقول برقة غريبة: «حاولي أن تعذريني يا فينيتيا. بعد فترة قصيرة، أسابيع قليلة وربما أيام... ستنسين كل هذا.» وهز كتفيه وقد رقت ملامحه، والتوت ابتسامته بعد أن عثر على الكلمات التي كان يبحث عنها، ليقول متابعاً: «لماذا كل هذا الافتتان؟ إنني كبير السن بالنسبة إليك، وخشن، وربما غير مرن. إنك شابة حلوة ورقيقة. اذهبي إلى حفلتك هذه الليلة واستمتعي بوقتك مع من هم في سنك. إنسي أنك طلبت مني الذهاب معك، وأنا سأفعل ذلك أيضاً. قد تكون أكبر غلطة نقع فيها نحن الاثنان... صدقيني.»

واحمر وجهها، ثم [illegible] وهي تصرخ فيه: «إنني أكرهك.» واغرورقت عيناها بالدموع لتتساقط بعد ذلك على وجنتيها وأنفها. ولم تهتم لذلك. فهو يعرف شعورها نحوه، ولكنه اعتبره مجرد افتتان من تلميذة مدرسة، مانحاً إياها مشاعر ضحلة أشبه بما يسبغه عليها فيما لو كانت مصابة بالزكام. إنها لم تشعر من قبل بمثل هذه المذلة التي شعرت بها الآن! وعادت تقول ثائرة: «كم أكرهك.»

فقال بابتسامة تحوي مزيجاً من الحنق والسخرية: «إذن، فلا بد أنك شعرت بارتياح لعدم استجابتي لدعوتك. أليس كذلك؟ وأنا متأكد من أن كيرو الشاب يمكنه أن يقبل بمرافقتك إلى الحفلة هذا المساء، رغم أنك يجب أن تأخذي حذرك منه، فهو إنتهازي للفرص، ولا أظنه موضع ثقة تماماً رغم أن اباك يثق به إلى درجة أنه يدفع له مبلغاً جيداً من النقود لكي يرافقك.»

ونظر إليها بعينيه السوداوين النفاذتين، وتجمدت هي في مكانها وهي تراه كريهاً إلى هذا الحد.

لقد حاول إذلالها ونجح في ذلك بسهولة. كيف، أمكنه أن يكذب بهذا الشكل فيقول ان سيمون يأخذ أجرة لقاء مرافقتها؟ هل يعني أنه ليس ثمة رجل يقبل بالظهور معها إلا بأجرة مدفوعة؟ ولم تصدقه، فهي لم تستطع ذلك. ومسحت الدموع عن وجهها بأناملها، واندفعت تقول ثائرة وهي تصر على أسنانها: «لا أدري إذا كنت تعلم مبلغ سفالتك. هل تستمتع دوماً بإيذاء الناس هكذا؟»

وغطى جوابه صوت انسحاق الحصى تحت قدميها وهي تركض عائدة نحو المنزل. وكانت من الانفعال، وهي تدخل القاعة مسرعة لم تلحظ والدها إلا بعد أن سمعت صوته يهتف بها قائلاً: «فيني، لا تقلقي يا حبيبتي، ولكن، هل لك باستدعاء الدكتور فيلدينغ؟»

وقفز قلب فينيتيا وهي ترى أباها. فقد كان يقف على أسفل السلم مستنداً إلى الحاجز وهو ما يزال في معطفه المنزلي وقد غطى وجهه الشحوب والعرق.

وهتفت بصوت ممزق وهي تندفع نحوه: «أبي... ما الذي حدث؟» وأمسكت بيده تضعها على وجنتها وقد ارتسم الفزع في عينيها الواسعتين.

فأجاب: «ربما لا شيء أكثر من وجع في المعدة.» وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة يطمئنها بها، ولكنه لم يفلح في ذلك. ولأول مرة خلال هذا الأسبوع لم تشعر بوجود كارلو، ولم تدرك أنه تبعها إلى المنزل إلا بعد أن سمعت صوته يقول بهدوء: «اتصلي حالاً بالطبيب، يا فينيتيا.»

www.liilas.com

تركت فينيتيا يد أبيها مرغمة وهي تتراجع إلى الخلف بساقين مرتجفتين، محملقة في وجه كارلو الجامد تبحث في ملامح وجهه عما يطمئنها إلى أن كل شيء على ما يرام. لكنه لم يكن ينظر نحوها، فقد كان يمعن النظر في وجه أبيها قبل أن يحمله، دون صعوبة، بين ذراعيه وهو يأمرها قائلاً دون أن ينظر إليها: «لقد قلت حالاً، يا فينيتيا.»

وركضت نحو الهاتف، شاعرة بالذنب، ومضت تطلب الرقم بأصابع مرتجفة، وهي تنهش زاوية فمها في انتظار الرد من الطرف الآخر. ولا بد أن ما قالته لموظفة العيادة كان مفهوماً لأن هذه أخبرتها أن الطبيب هو في طريقه إليهم. واستدارت لترى بوتي واقفة خلفها مباشرة، وقد شحب وجهها وامتلأت عيناها بالقلق.

وسألتها بسرعة: «هل هو قادم؟» أومأت فينيتيا برأسها بالإيجاب وقد منعتها غصة في حلقها، من الكلام.

قالت مديرة المنزل وقد بدا عليها الارتياح: «هذا حسن. كل شيء سيكون على ما يرام، إذن.» وكأن كل ما على الطبيب أن يفعل هو أن يلوح بالوصفة ليصبح كل شيء على ما يرام. وتمنت لو أنها تملك مثل هذه الثقة العمياء.

ولا بد أن أفكارها هذه قد بدت على وجهها، لأن بوتي تقدمت منها تزيح خصلة من شعرها عن جبينها وهي تقول بلطف تطمئنها: «إن الطبيب لن يتأخر، كما أن كارلو معه. لقد أخذه إلى المكتبة وطلب مني أن أحضر له غطاء. فاذهبي إليه الآن وامسكي بيده. لماذا أنت واقفة؟» وحاولت فينيتيا أن تتمالك نفسها، بينما ركضت بوتي لتحضر الغطاء. إن ظهورها بهذا الشكل المضطرب، سيزعج أباها حتماً.

www.liilas.com

لم تمر بمثل هذا الموقف من قبل، فقد كانت من حداثة السن وانعدام الخبرة بحيث لم تكن لتصدق إمكان حدوثه.

لقد كان عمرها عدة شهور فقط عندما ماتت أمها، بعد أن سقط بها الحصان ساحقاً ذلك الجسد الرشيق لتلك المرأة الشابة. ولم تكن فينيتيا واعية لتلك المأساة، وقد بذل أبوها غاية الجهد لكي لا يجعلها تفتقد حنان الأم. فقد غمرها بما يكفي من الحب والعناية والصبر.

لقد تذكرت، الآن، منظر وجهه عندما طلبت منه أن يشتري لها مهراً صغيراً. وكانت في الحادية عشرة من عمرها آنذاك. ولم تدرك، في ذلك الحين، أن ذلك التعبير إنما كان خوفاً. لم تدرك ذلك إلا بعد سنوات، حين جعلتها مهارتها في الفروسية تلجأ إلى المخاطرات، لتربط، في ما بعد، بين نظرة الألم في عيني أبيها تلك، وبين موت أمها المفجع بقفزة من حصانها فوق البوابة.

وهكذا، كان افتراقها عن حصانها «بليس» هو أشد الظروف التي مرت بها، إيلاماً. بعد أن ادعت أمام أبيها أن رياضة الفروسية قد ابتدأت تسبب لها الملل، وتستنفد كل طاقاتها. ولكن نظرة الارتياح التي بدت في عينيه، كانت تستحق هذه التضحية منها. وقد كان هذا أول تصرف غير أناني يصدر عنها، داعية ألا يكون الأخير.

وشعرت بالذنب وهي تتذكر، كيف أنها في السنة التي سبقت تخرجها من المدرسة، لم تهتم بأن تخطط لتعلم مهنة للمستقبل، وضعت جانباً اقتراح أبيها بأن تلتحق بأعمال شركتهما، مبتدئة في التدرب في كل أقسام الشركة، لتصل إلى القمة.

أما ما كانت تريده، وكان يكدره، هو أن تمكث في المنزل ستة أشهر على الأقل تتسلى وتنال حظها من البهجة والمرح، قبل أن تفكر جدياً في أمر مستقبلها، فهي تستحق ذلك بعد حياة الدراسة.

كانت تعلم أنها خيبت أمله، رغم عدم إظهاره ذلك أمامها. وها هي الآن تشعر بالندم لنظرتها العابثة هذه، إلى الحياة، أكثر مما كانت تتصور.

قطعت بوتي عليها تأملاتها هذه وهي تعود لتضع بين ذراعيها غطاء وهي تقول: «خذي له هذا، بينما انتظر هنا حضور الطبيب لكي أصحبه إلى حيث أبيك. ثم، بعد ذلك أجهز الشاي لنا جميعاً. لعلك في حاجة إلى ذلك، مثلي أنا.»

دفعت فينيتيا باب غرفة المكتبة، وهي تتكلف الارتياح والثقة في مظهرها. فأومأت بالتحية نحو كارلو الذي سألها: «حسناً، هل الطبيب قادم؟» ثم التفتت نحو أبيها تسأله: «كيف حالك الآن؟» وأخذت تلف ساقيه بالغطاء وكان هو مستلقياً على المقعد المستطيل يبتسم لها قائلاً: «أشعر بتحسن. إن الدكتور فيلدينغ سيثور علي لإضاعتي وقته. لقد بقيت في فراشي آملاً بأن تنتهي نوبة الألم تلك، ولكنها استمرت. وعندما يصل، لن يكون للألم أثر كما يحدث عادة.»

فقال كارلو وهو يتقدم ليقف أمامها: «إن ذلك واجبه. حتى ولو انتهى الألم الآن، فلا شك أن هناك سبباً له.»

وأرخت فينيتيا أهدابها بسرعة، مشيحة بوجهها بعيداً عن ذلك الإيطالي، وقد نطقت ملامحها بشعور الذنب. فقد كانت بوتي أبدت ملاحظة عن تأخر أبيها في غرفته، ولكنها، لم تفكر في ذلك لحظة. فقد كانت مشغولة جداً

www.liilas.com

بقضيتها مع كارلو، وفي كيفية جعله يذهب معها إلى حفلة ناتاشا.

وأخذت تلوم نفسها، فقد كان عليها أن تصعد إلى غرفة أبيها لتطمئن عليه، بدلاً من أن تمضي وقتها في محاولة جذب رجل قد أضجرته بهيامها، والذي سخر منها بكل قسوة مثل قوله بأن لا بد للرجل من أن يأخذ أجرا لكي يقبل بالظهور معها، في مكان عام.

شعرت بالارتياح وهي تسمع صوت الطبيب، وهرعت إلى الباب تستقبله، وهي تشكره إذ رأت اللون يعود تدريجياً إلى وجه أبيها. وبعد ساعة، من وضع الرجل المسن في فراشه، رافقت الطبيب إلى سيارته.

أخبرها الطبيب، وهو يفتح باب سيارته الفولفو ليضع حقيبته على المقعد بجانبه، بأن ما جرى لأبيها سببه التهاب الزائدة الدودية. وألقى نظرة على كارلو الذي كان قد لحق بهما، وهو يقول: «لا شيء يستدعي الهلع. ولكن استدعوني إذا عاد الألم. وليبق على التغذية بالسوائل لمدة أربع وعشرين ساعة. وفي مدة يومين، سيصبح في حالة ممتازة.»

وعندما ابتعد، قالت فينيتيا بصوت متوتر: «سأصعد لأطمئن عليه.»

قال لها كارلو بعد أن اعترض طريقها: «كلا.» وجمدت في مكانها وأغمضت عينيها، خائفة من أن يرى مقدار ألمها ومذلتها، ومقدار الحب الهائل الذي تكنه له في أعماقها. وتابع قائلاً: «لقد كان مستسلماً للنوم عندما تركته. فقد أمضى ليلة مضطربة. وعدة ساعات من النوم

الهادىء ستنفعه كثيراً. وبجانب ذلك...» ثم دار وجهها إليه، وهو يتابع: «لقد وعدت بوتي بأن تتفقده من وقت لآخر، وأن تراقبه جيداً.»

كان قريباً منها لدرجة استطاعت معها أن تشعر بأنفاسه، وأسرها القرب منه. كما خلب لبها وأذهلها ذلك الجمال الباهر. لماذا لا يشعر بذلك هو أيضاً؟ لماذا لا يشعر الرجل الوحيد الذي أحبته بشيء نحوها ما عدا السخط والغضب. إنها لا تستطيع البقاء معه هنا لحظة واحدة. فهذا كثير عليها احتماله! وشعرت بشهقة عالية أوشكت أن تفلت منها، فحاولت كبحها وهي تدير وجهها بعيداً عنه، بينما تفجرت الدموع من عينيها لتتحدر على وجنتيها.

لقد رأى دموعها، بطبيعة الحال، فهو لا يفوته شيء. وطبعاً سيبدأ بتعنيفها مرة أخرى، ويدعوها بالطفلة، إنها تعلم أنه سيفعل ذلك. وحاولت، بعصبية، أن تتحكم بارتباكها الذي كان يفضحها. ولكن، لم يكن في صوته الأجش، أي أثر للقسوة وهو يهمس: «لا تبكي. لقد مرت عليك ساعتان قلقتان حقاً، ولكن كل شيء قد انتهى الآن، فإن أباك أصبح في حالة حسنة تماماً. وأنت تعانين الآن من ردة الفعل، وهذا كل شيء.»

كل شيء؟ وانطلقت شهقاتها الآن وهو يربت على ظهرها. لقد كانت، في نظره مجرد فراشة ملونة، كما أن رحيله غداً كان يحطم قلبها.

لم تكن تريده أن يبتعد عنها لينسحب، مرة أخرى، إلى ما وراء ذلك الحاجز. لا يمكنها أن تسمح له بذلك. لقد اخترقت الآن ذلك الحاجز. نعم، لقد فعلت ذلك! وهو لن يتمكن، بعد

www.liilas.com

الآن، من الادعاء بأنها مجرد طفلة تسبب له الضجر، إنه لن يدفعها عنه مرة أخرى.

ولكنه فعل ذلك بحركة مفاجئة جعلتها تترنح وهي تمعن النظر في توتر ملامحه المفاجىء، بعينين تطل منهما الحيرة والألم.

تراجع بسرعة إلى الخلف، مما جعلها تشعر بفراغ مؤلم أحدث في حلقها غصة خانقة. واغرورقت عيناها الكبيرتان الشفافتان بالدموع وهي تحتج بصوت مختنق قائلة: «لا تدفعني بعيداً هكذا.»

أجاب: «إنك محظوظة حيث أنني أملك شيئاً من ضبط النفس.» قال ذلك وعيناه تحدقان في عينيها بعنف لم تر مثله من قبل، وهو يتابع قائلاً وقد قطب حاجبيه الأسودين: «لو كنت أكبر مما أنت الآن بخمس سنوات، لاختلفت الأمور، ولكنك ما زلت طفلة.»

فصرخت بوحشية: «هذا غير صحيح.» واندفعت تقول دون تفكير وقد انهارت كبرياؤها: «إنني أحبك، يا كارلو، فلا تتركني. أرجوك لا تتركني!»

سمعته يتنفس بشدة وهو يرد عليها بغيظ وشراسة: «إنك تزعجينني إلى حد كبير. اتدركين ماذا تفعلين بي؟ أتدركين ذلك؟» ونظر إليها لحظة طويلة وقد توتر فمه، ثم تراجع بسرعة عائداً نحو المنزل، آخذاً معه قلبها المحطم المسكين.

استيقظت فينيتيا وهي تشعر بأنها تكاد تختنق، والقلق يبلغ بها حد الألم. قذفت عنها الأغطية، بانفعال، على السجادة، ومن ثم أخذت تدير حولها عينين متسعتين يرتسم فيهما الارتباك.

ولكنها ما لبثت أن نحت جانباً ظنها في أنها كانت تعاني

www.liilas.com

من كابوس، بعد أن أدركت منشأ قلقها هذا. ليس السبب والدها بالتأكيد. آه، إنها ما زالت تفكر في موقف الأمس المريع. ولا شيء غير ذلك. وما دام والدها يتبع حمية السوائل، هذا النهار، ومرتاحاً من العمل عدة أيام، فلا بأس عليه، ولا بد لالتهاب الزائدة الدودية ذاك من أن يزول.

كانت جذور تعاستها موجودة عند حبيبها كارلو. وجلست واضعة ذقنها على ركبتيها، لافة ذراعيها حولهما وقد انتشر شعرها الأسود الطويل في كل مكان.

بالرغم من اصرارها على تأكيد حبها، فإن الطريقة التي أخذت تتوسل بها إليه أن يبقى قد ألهبت ضميرها خزيا عندما تذكرت تفجرها العاطفي ذاك. لقد كان مصمماً على السفر بعد ظهر هذا النهار.

بعد أن تركها، مبتعداً عائداً نحو المنزل، ساورها الشعور بالوحدة والتعاسة كما لم تشعر به من قبل. ولم تعرف كيف تواجه ذلك الشعور المظلم باليأس، خصوصاً عندما رأته يخرج لينطلق في الشارع بسيارته المستأجرة.

وأثناء الفترات التي كانت تفتقد فيها والدها، بقيت تتسكع في أنحاء المنزل منتظرة عودة كارلو، فتتمشى في الشرفة بقلق، تحاول أن تحضر في ذهنها، الكلام الذي ستقوله له عندما تراه مرة أخرى. لقد شعرت بأعصابها تتحطم لما جرى وللطريقة التي تصرفت بها.

ولكن الساعات امتدت طوال النهار الذي بدا وكأنه لا نهاية له. ولم يظهر له أثر. ولم تستطع هي أن تمس طبق السلطة الذي قدمته لها بوتي، ولا طبق السمك المشوي اللذيذ الذي قدمته إليها للعشاء.

www.liilas.com

«لا بد أنه يريد أن يرى المزيد من الأماكن، قبل أن يرحل غداً.» كان هذا كلام بوتي الذي نطقت به بصوت جاف وهي ترفع عن المائدة، طبق الطعام الذي عبثت فيه فينيتيا بشوكتها، بينما عيناها مسمرتان على الكرسي الخالي أمامها.

اصطنعت ابتسامة باهتة، وكانت هزة الهزيمة من كتفها تغني عن كل جواب، بينما تابعت بوتي بصوت أجش: «لا تبدي بهذا الشكل، فهو ليس الرجل الوحيد في العالم.»

شتمت فينيتيا نفسها لكونها شفافة بهذا الشكل، وهي ترى مدبرة المنزل خارجة من الغرفة. فقد جعلت من نفسها موضعاً لملاحظات بوتي وسخرية كارلو. لقد عرف شعورها نحوه حتى قبل أن تعترف له بأنها تحبه، وفسره هو على أنها مجرد فتاة صبية مراهقة غير ناضجة.

ولكن بوتي كانت مخطئة، فهو الرجل الوحيد الذي في إمكانها ان تحبه بمثل هذه العاطفة. ولكن، لم يجنِ أية فائدة كما أعلن ذلك صراحة وتملكتها التعاسة. إن عليها تقبل الأمر الواقع بشكل ما وتحاول أن تحسن تصرفها معه عندما تراه ثانية، وعلى ما ستقوله له.

ولكنها ليست في حاجة إلى كل هذه المعاناة لتحطيم كرامتها لأنها عندما كانت مع أبيها، الليلة الماضية، كان كارلو هناك.

لم ينظر إليها، عندما حضر إلى الغرفة سائلاً أباها عن صحته وقد شحب وجهها عندما قال: «إذا كنت متأكداً من أنك في طريق الشفاء، فسأستقل الطائرة غداً إلى روما، كما

اتفقنا. ولكن، إذا كان لديك أية مخاوف فإن في استطاعتي إلغاء السفر والبقاء بجانبك.»

حبست فينيتيا أنفاسها، راجية أن يطلب أبوها من كارلو البقاء، ولكنه لم يفعل، بل أجابه: «إنني بخير تماماً. وعندما انتهي من فترة التجويع هذه، سأعود رجلاً جديداً. وقد طلبت من كيرو الحضور إلى هنا هذا الصباح لينوب عني في غيابي ليومين أو ثلاثة. وهكذا، ليس من الضروري أن تغير خطة سفرك لمجرد أنني عانيت من وجع في المعدة. إذ لا ضرورة لذلك مطلقاً.»

«إذا كنت متأكداً...»

هل هي علامات ارتياح تلك التي بدت على ملامحه؟ وتصلبت شفتاه وهو يضيف قائلاً: «بعد تفكير عميق، توصلت إلى قرار مهم أحب أن أبحثه معك غداً صباحاً بعد أن تنتهي من رؤية كيرو.»

فأشار أبوها إلى الكرسي الكبير المقابل لسريره العريض القديم الطراز وهو يسأله باسماً: «ولماذا ليس الآن؟»

وبحركة غير إرادية، كما بدا لفينيتيا، تحولت العينان السوداوان، أخيراً، إلى ناحيتها، ثم عادتا إلى أبيها فوراً وهو يقول بتلك اللكنة الخلابة في صوته: «من الأفضل إرجاء ذلك إلى الغد.»

إذن، فقد توصل إلى قرار ما... طبعاً بشأن العمل، وهل هناك شيء غيره؟ ثم رفض أن يتحدث عنه أمامها. وشعرت فينيتيا بالألم وهي تفكر في ذلك. إنه لن يتحدث عن أي شيء ذي أهمية في حضورها، فهو يظنها مراهقة.

www.liilas.com

وبقيت أنظارها على يديها المنقبضتين في حجرها، أثناء لحظة الصمت التي سبقت خروجه من الغرفة، لتخرج، هي نفسها، بعده بقليل قاصدة غرفتها، وقد شملها الوهن للضربات التي وجهها إليها، سواء قصد ذلك أم لا.

ولم يكن شعورها، هذا الصباح، بأفضل منه ليلة أمس. وأزاحت شعرها عن عينيها وهي تنظر حولها ببلادة. لقد صممت، منذ سنة، على تجديد غرفتها هذه حسب ذوقها، فغيرت ورق الجدران، والسجادة الوردية الباهتة وكذلك الستائر الوردية. أصبح الأثاث باللون الأسود وباستثناء السجادة البيضاء، كل شيء كان قرمزي اللون.

وتذكرت كيف غمرتها البهجة، في ذلك الحين. والآن، وهي تشعر بتباشير يوم صيف حار آخر، أخذت تتذكر بأسى: أيامها الماضية، وانتقالها السريع الرائع من عهد الحداثة. وكل تلك الثقة بالنفس التي حطمها وقوعها في حب من لا يرحب بحبها.

وعندما تركت سريرها، في النهاية، لتأخذ حماماً وجدت نفسها ترتجف. إن كارلو سيرحل هذا النهار، ومن غير المحتمل أن يتقابلا مرة أخرى. ذلك أن أباها وسيمون كان فيهما منتهى الكفاءة لإدارة الشركة التي يملك أسهماً فيها. فقد استمرت سنوات دون أن تفعل أسرة روسي شيئاً سوى أخذ حصتها من الأرباح. هذا إلى أنه يدير مختلف أعمال شركة روسي بمفرده بعد أن اكتفى والده بالمركز الثاني فيها نظراً لتأخر صحته. وهذا يجعل زيارته لانكلترا، مرة أخرى، غير محتملة.

وأخذت ترتدي معطف الحمام وهي تتساءل وقد استبدت

بها التعاسة، عما إذا كان سيتذكرها أحياناً، ثم قررت أنه لن يفعل ذلك، إذ سرعان ما ستنسيه السيدات اللواتي في انتظاره، كما خمنت بوتي، فينيتيا، التلميذة الصغيرة التي ضايقته بحبها.

وبعدم اكتراث بمظهرها، ارتدت بنطالاً من جينز والقميص المدرسي الوحيد الذي لم تمزقه بوتي قطعاً لتمسح به الأثاث، ثم خرجت قاصدة غرفة أبيها. وكانت بوتي قد سبق وأحضرت له إبريقاً من العصير الطازج، كما كان سريره مغطى بالأوراق والملفات وسألته باهتمام وهي ترفع شعرها الطويل اللامع إلى الخلف متمنية لو كان عندها وقت لتضفيره لأن هذا النهار سيكون شديد الحرارة، قائلة: «هل من الضروري أن تعمل الآن؟»

فأجاب وهو يحدق فيها من فوق نظارته: «إنني لا أعمل، وإنما أحاول تنظيمها لتيسير فهمها على سيمون عندما يصل. أتريدين أن تطلبي منه البقاء للغداء لتتسلي بصحبته؟» هناك رجل واحد تريد صحبته، ولكن المشكلة أنه لم يكن يريد ذلك، وهزت رأسها نفياً، بصمت، فقطب والدها حاجبيه قائلاً: «يبدو عليك الوهن، ماذا جرى؟ هل ما زلت قلقة علي؟ إنني بخير الآن.»

فقالت كاذبة: «إنه الجو الحار.» وتساءلت عما إذا كانت ستعود إلى بهجتها وطبيعتها المرحة مرة أخرى. حين كانت مليئة بالحيوية لا يشغل بالها شيء، ولم تستطع أن تتصور ذلك.

قال: «اذهبي إذن، وانتعشي في مياه حوض السباحة، فإن سيمون يعرف طريق غرفتي كما أن كارلو مشغول في

www.liilas.com

غرفة المكتبة بعد التقارير. وهكذا يمكنك أن تمضي وحدك صباحاً مسلياً تسترخين فيه.»

وعندما عادت إلى غرفتها، فكرت في أن رأي والدها لا بأس به. فهي لن تجعل من نفسها سخرية مرة أخرى. عليها أن تبتعد عن طريق كارلو، إذ ليس ثمة فائدة من المصالحة معه. لأنه إذا جاء سيمون وذهب، فإن كارلو سيذهب إلى غرفة أبيها لمناقشة أعمالهما، ومن ثم يذهب إلى المطار. وإلى ذلك الوقت، ستغيب عن الأنظار. وحوض السباحة كان في الفناء المسور القديم، وهو المكان المناسب للاختفاء.

كانت مياه الحوض باردة منعشة. وبعثت فيها عدة أشواط من السباحة، النشاط قبل أن تستدير لتسبح على ظهرها. وفكرت أنها لو ركزت ذهنها في البقاء بهذا الوضع، فربما يكون في إمكانها أن تستعيد شيئاً من ضبط النفس تتمكن به من وداع كارلو تحية الوداع بعد ساعة أو ساعتين...

وشعرت، لدى التفكير في أنها ستقول له وداعاً بمثل طعنة السكين في فؤادها ما جعلها تصر على اسنانها، كما جعل ركبتيها تصطكان، ووجدت نفسها بعده، تنحدر إلى أعماق الحوض ذي الستة أقدام عمقاً. ولم يهمها فيما لو لم تصعد بعدها أبداً. ولكنها ما لبثت أن صعدت إلى سطح الماء، ثم مسحت الماء عن عينيها، لترى سيمون من بعيد تظهره الشمس خلفه، خيالاً أسود. وتمنت لو تنزل إلى أسفل الحوض مرة أخرى، فقد كانت من الكآبة بحيث لم تشعر برغبة في التحدث إلى أي انسان.

وجاءها صوته مازحاً متقطعاً وكأنما كان يركض، وهو يقول: «ما أحسن هذا. ليتني استطيع السباحة.»

فردت عليه وهي تصعد درجات الحوض لكي تبتعد عن هذا المكان بعد أن أفسد عليها هذه المسرة الضئيلة بحدة قائلة: «وما الذي يجعلك تعتقد انني أرحب بهذا؟»

وخطت على الأرض المبلطة، وقد علاها العبوس، ذلك أن تصرفات سيمون، في المرتين الأخيرتين اللتين خرجا فيهما معاً، لم تكن سليمة، وكانت ألفاظه، أحياناً، غير مهذبة كما تحب، وقد سكتت على مضض لأن الخيار الآخر الذي كان أمامها هو أن تبقى في البيت محرومة من المرح ولا ترى أياً من أصدقائها.

إنها، في المستقبل، ستفضل مسرورة، البقاء في المنزل إلى أن تستطيع إقناع أبيها بأنها ستكون آمنة في خروجها بدون مرافق يختاره لها. ويمكن عند ذلك، لسيمون أن يفتش عن فتاة أخرى ينشب فيها مخالبه. فقد تعبت هي من الاستمرار في دفعه عنها على الدوام.

في بداية خروجهما معاً، كانت تراه مثالاً للمرافق المهذب كما ينبغي أن يكون... وذلك في مراعاته، واهتمامه وفكاهاته وحمايته لها. ولكنه، مؤخراً، أصبح يظهر رغباته بشكل مناف للذوق، مما جعل خروجهما يقتصر على المصارعة بينهما، هجوماً ودفاعاً، بدلاً من أن يكون فترة بهيجة كالقصد منها.

ولو أن بذرة من الشك راودت أباها في ما يجري بينهما، لنسف كل شيء حتماً. وصرخت به غاضبة: «هل يعرف أبي أنك هنا؟ هل هو يعرف ما تعتزم عمله؟»

فرد عليها متبرماً: «آه، هيا، تعالي. لقد سبق ورأيت أباك وأخذت كل الأوامر منه كاي موظف جيد. فما الخطأ في أن

www.liilas.com

نتسلى معاً، هذا إلى أن ذلك الرجل المسيطر السيد روسي هو معه الآن... وهذا سيشغله فترة طويلة. إنك تعرفين ما هو شعوري نحوك، فلا تدعي أنك غير مستعدة لذلك.»

واجهته ثائرة وهي تقول بعنف وعيناها تحذرانه من أن يتقدم نحوها خطوة واحدة: «إنك تثير اشمئزازي، فإذا بدر منك أي تصرف شائن، فسأصرخ لأبي ليأتي ويطردك حالاً.»

واستدارت بسرعة لكي تبتعد فقط عن وجوده الكريه، وعينيه الوقحتين، دون أن يخطر ببالها أنه سيندفع خلفها بسرعة، ليشدها من شعرها، ليمسك بها، يديرها إليه مما أفقدها توازنها، وهو يزمجر في أذنها: «في الوقت الذي أنتهي فيه منك، بعد أن تذوقي ما يدفعني إلى كل هذا، سيكون طردي هو أبعد شيء عن ذهنك. وهذا وعد مني لك.» وكان أقوى منها كثيراً.

بينما كانت تشهق مرتجفة إذا بها تسمع من خلال الغشاوة الحمراء أمام عينيها المغمضتين، صوت كارلو روسي يقول بخشونة وسخرية: «إنني لا اعتذر عن تطفلي هذا، فأنا في الواقع، مسرور لهذا التطفل.» وعندما فتحت عينيها على اتساعهما هلعاً، وقبل أن تبدأ بتبرئة نفسها، سمعته يقول، بصوته العميق المفعم بالتهكم: «لا تكلفا نفسيكما عناء النهوض، يا أولاد، فإن في إمكاني السفر دون حاجة للوداع.»

ومرة أخرى، أخذت تلاحقه بأنظارها وهو يرحل... نهائياً.

ليلاس
LoOoLa

الفصل الثالث

«هل سبق وعلمت أنه سيحضر الجنازة؟» ألقت فينيتيا هذا السؤال عندما استقر بها الجلوس مع سيمون في المقعد الخلفي من سيارة الليموزين، والسائق، في ثيابه الرسمية، ينساب بهدوء، مبتعداً عن المكان. واستطردت قائلة: «أرجو ألاّ يتصور ان في امكانه انْ يعود إلى المنزل.»

هز سيمون كتفيه قائلاً: «إنني لم أعلم أنه سيحضر ولكنني كنت شبه متوقع لذلك، وعلى كل حال، فانت سترثين حصة أبيك من الأسهم، في الشركة. وطالما أنه يملك النصف الآخر، فهو يريد أن يلقي نظرة على أرباحه.»

ألقت عليه نظرة جانبية كئيبة، بينما كان حجابها الأسود المسدل على وجهها يخفي احمرار عينيها، لم يكن الوقت مناسباً للحديث في شؤون العمل، وعن ارباح كارلو روسي في الشركة المكافحة، ذلك أن مجرد وجوده هنا، فيه ما يكفي من السوء.

تنهدت وهي تشبك اصابعها، المغطاة بالقفاز الأسود، في حجرها. لقد كانت معاناتها، هذا النهار، تكفي من دون أن تشتبك عيناها، وهي ترفعهما عن جثمان أبيها الحبيب المسجى، فجأة، بتلك العينين السوداوين الحادتين لذلك الرجل الذي ظنت يوماً انها ستحبه إلى الأبد. الرجل الذي كانت على استعداد للتضحية بحياتها لأجله إذا اضطرها الأمر لذلك.

www.liilas.com

قال سيمون: «هيا، اهدإي، فستتخلص من الجميع بأسرع وقت ممكن ليمكنك بعد ذلك، أن تمضي بقية نهارك بسلام. سأبقى معك وسنتناول عشاء هادئاً. فانا لا أريدك أن تبقي وحدك.»

أومأت برأسها وقد منعها الذهول من أن تتكلم. فقد كانت وفاة ابيها، منذ اسبوع، صدمة مريعة لها. فهو لم يعلم احداً من قبل عن حالة قلبه. وعندما تفاقمت حالة الشريان التاجي عنده، وتوفي اثناء نومه، لم تستطع هي أن تصدق ذلك، وأن تتعود على هذا الواقع. ولم تكن تعرف كيف كان يمكنها أن تتصرف وتتدبر الأمور، من دون معونة سيمون. فقد بدت في اثناء الأيام السبعة الماضية، وكأنها عادت تلك الطفلة الخائفة عديمة الخبرة. وتلك المرأة الجادة المثابرة التي عودت نفسها على أن تكونها، طيلة السنوات الست الماضية، تلك المرأة حطمها الحزن على الأب الذي فقدت.

ولكنها عادت تسيطر على نفسها. وكانت تطمئن نفسها بهذا بينما كانت السيارة تقف امام المنزل. كان لا بد لها من ذلك. ورفعت ذقنها بكبرياء، تحت الحجاب، وهي تستعد لدخول المنزل لاستقبال المعزين.

كانت بوتي قد حضرت الجنازة، فقد كانت، بالطبع، كفرد من الأسرة. فاستدعت متعهدي المآتم الذين كانوا الآن يضعون اللمسات الأخيرة على مقصف الأطعمة الباردة المعدة للمعزين.

حدثت فينيتيا نفسها، بأن كارلو لن يكون من الجهل المطبق بحيث يأتي إلى هنا. وتعثرت في سيرها قليلاً بعد أن اصاب التفكير فيه، ساقيها بالوهن.

www.liilas.com

سألها سيمون: «هل أنت بخير؟» مالت نحوه شاكرة، وهي ترى السيارات الأخرى الفاخرة التي تقف في الفناء. قالت له وهي تتمالك نفسها: «نعم بالطبع.» ولم تكن في حاجة إلى كثير من الذكاء لتعرف السبب في أن يوثر مجرد التفكير في كارلو روسي، عليها بهذا الشكل، مسبباً لها مثل هذا الارتباك المؤلم.

فمنذ ستة أعوام، في اثناء اسبوع صيفي مشؤوم، ارتمت هي على قدميه تصارحه بحبها، وآخر مرة رآها فيها، كانت في وضع غير لائق مع سيمون عند حوض السباحة.

وتوهج وجهها وهي تتذكر ذلك. لقد كانت تظن ان الحزن على رحيله، وشدة شعورها بالاحراج لذلك الوضع، وغضبها على سيمون الذي تسبب في هذه النهاية، وكل تلك المذلة والحقارة التي أحست بهما، كل ذلك سوف يقضي عليها.

ولكن، من الغريب انها، خلال السنوات التي تلت، قد أصبحت مولعة بسيمون. وكان ظهور ذلك الرجل، في ذلك المشهد، قد أعاد إلى سيمون عقله، ولم يستطع ان يعتذر بما فيه الكفاية. وفي اليوم التالي ارسل اليها باقة زهور، ولكنه لم يحاول رؤيتها او التحدث اليها.

ولم تقع عيناها عليه مرة أخرى، الا عندما دعاه والدها الى المنزل.

لقد تصرف، في ذلك الحين، بكل لطف وأدب، وكان الاعتذار يبدو في عينيه في كل مرة كانت عيناها تقعان عليهما.

ثم التحقت بشركة أبيها بعد سنتين من دراستها لأعمال السكرتاريا ومسك الدفاتر، وكان سيمون هو الذي ساعدها

www.liilas.com

في تدربها على مختلف انواع الادارة. وكانت معرفته وصبره، إلى عزيمتها في التفوق، كل هذا دفعها إلى القمة رأساً، إلى حد أن اباها، منذ سنة تقريباً، تقاعد عن العمل جزئياً، دون أن يخبرهم أن صحته قد اصبحت في وضع مؤسف، ولكنه كما قال، في حاجة، في سنه هذا، إلى بعض الراحة.. ولهذا لم يتردد في أن يسلمها زمام العمل الذي كان يقبض عليه بيديه بكل حزم.

كانت تعلم انه كان فخوراً بها. وإذا كان قد تساءل يوماً، في نفسه، عن السبب الذي جعل ابنته العابثة المحبة للحفلات تتغير بين يوم وليلة إلى فتاة عاملة جادة، فهو لم يسأل عن السبب ابداً. وأثناء الأسابيع والشهور التي تلت رحيل كارلو لم تهتم كثيراً بأي شيء. وكان تصميمها على أن تعمل في شركة أبيها، سببه فقط ان تجعله سعيداً.

غالبت دموعها التي اوشكت ان تطفح بها عيناها. لا فائدة من النظر إلى الوراء. كان هذا ما فتئت تذكر نفسها به على الدوام. وسارت نحو المنزل بظهر مستقيم في طقمها الأسود الكئيب، حيث اخذت تستقبل المعزين بابتسامة متحفظة، شاكرة وجود سيمون بجانبها.

وألقت بنظرة متجاوزة بها ممثلي اقسام البيع بالتجزئة بوجوههم الجادة، إلى القاعة خلفهم، وسرعان ما تجمدت في مكانها وقد شعرت بمثل طعنة السكين من الألم الذي كسا وجهها. انه كارلو!

كان عليها أن تتوقع هذا وتعد نفسها له، بدلاً من دفن رأسها في الرمال كالنعامة، مدعية أنه لا يمكن ان يدخل إلى مكان لم يدع اليه، او يرحب به.

لم تغيره تلك السنوات الست ما عدا انها عمقت بعض خطوط ملامحه، المتعجرفة التي تتفجر رجولة، وكان جسده مايزال بنفس التناسق الذي كان عليه، أما هالة النفوذ والسلطة التي تحيط به، فقد أصبحت الآن أكثر بروزاً. وكان رؤوس عدد من النساء قد استدارت اليه، مأخوذات بوسامته.

وتملك فينيتيا، برغمها، اضطراباً. خاطب سيمون آخر مجموعة تقدمت لتقدم تعازيها بقوله: «نرجو المعذرة لحظة، فان فينيتيا في حاجة إلى شراب ينعشها.» واتجه بها إلى ناحية وهو يقول برقة: «إن منظرك سيىء جداً. هل سيغمى عليك؟»

وبدا عليه وكأنه لا يدري ما الذي ينبغي عليه ان يصنع اذا هي اجابت بالايجاب، ولاحت على شفتيه شبه ابتسامة عندما اراحته بقولها: «لم يحدث قط ان اغمي علي من قبل. ولكن معك حق، فأنا في حاجة إلى شراب منعش، وان محاولاتي التحدث إلى كل هؤلاء الناس، قد اثبتت انها محنة لم اتصورها من قبل.»

ذلك انها لا يمكن ان تصارح احداً، في العالم، بالشعور الذي انتابها عندما رأت كارلو، وكيف ان نظرته اليها وهي مع سيمون، ما زالت، كلما تذكرتها، تحس في نفسها الحرج والشعور بالخزي.

وضع سيمون في يدها كوب شراب منعش وهو يقول: «اشربي هذه ولا تدعي مثل هذا القلق يبدو عليك، فان القوم قد ابتدأوا يستعدون للخروج. ويمكنك، قريباً، ان ترفعي قدميك وتسترخي، وفي نفس الوقت، يمكنني، اذا انت شئت، ان اقوم بجولة اشكر فيها الجميع لحضورهم.»

فتمتمت: «لا بأس، ستتحسن حالتي تماماً.» ورفعت

www.liilas.com

الكوب إلى شفتيها. ولكنها كانت على كل حال شاكرة له ما تقدم به. فقد كانت مسرورة اذ امكنها ان تعود فتميل اليه وتثق به مرة اخرى، واغمضت عينيها وهي تشعر بالراحة.

وعندما فتحتهما، مرة اخرى، وجدت نفسها تنظر مباشرة في عينين سوداوين عدائيتين، فأمسكت انفاسها، وهي تشعر بالغثيان اذ تسمع ذلك الصوت الخلاب يغمرها بفيض من الذكريات المؤلمة كانت قد ظنت، خطأ، انها قد نسيتها منذ وقت طويل.

قال: «تعزياتي المخلصة يا فينيتيا، لقد كان والدك رجلاً رائعاً وأنا أعرف مقدار الحب الذي كان يكنه الواحد منكما للآخر.»

«شكراً» وخرجت الكلمات منها جافة فاترة، وكانت شفتاها ترتعشان. فهي لم تتوقع أن تراه ثانية وكان ذلك منتهى الغباء كما ادركت الآن باعتبار انه يملك مقداراً كبيراً من الأسهم في شركة ابيها، شركتها الآن.

ارتفع صوت كارلو يقول موجهاً حديثه إلى سيمون: «أما زلت ذا فائدة، ياكيرو؟ أليست زوجتك معك؟»

ازعج فينيتيا ان تشعر بوجهها يتوهج، فقد كان للطريقة التي لفظ بها كلمة (ذا فائدة)، ان يعلمها، بكل قسوة، انه مازال يتذكر آخر مرة رآهما فيها معاً.

وما الذي جعله يعلم ان سيمون متزوج؟ هل كان يسأل عنهما؟ لقد كان ثمة مكالمات هاتفية، احياناً، بينه وبين ابيها، ولا بد انه جمع معلوماته عن هذا الطريق. وكان سيمون يغمغم قائلاً: «ان انجي لا يمكنها الحضور الى هنا، فهي مسافرة في مهمة عمل.»

وكان هو أيضاً قد احمر وجهه كما رأت فينيتيا. وكان احمرار وجهيهما هما الاثنين يظهرهما وكأنهما قاما بشيء جعلهما يشعران بالذنب، وكان عليها ان تتمالك نفسها، ذلك ان كارلو يعني الآن، بالنسبة اليها، اقل من لا شيء. وقد حان الوقت الآن لكي تتصرف كامرأة ناضجة بدلاً من ان تتصرف كتلميذة مذعورة امام ناظر المدرسة العبوس الحازم، هذا إلى انها كانت تعرف السبب في عدم الارتياح الذي بدا على سيمون، فقد مر على زواجه من انجي ستة اشهر فقط، وكانت مهنتها كعارضة ازياء تجعلهما مفترقين اغلب الأحيان مما جعل الخصام يدب بينهما بصورة عنيفة. ولم يكن لدى انجي نية في أن تكون زوجة تقليدية، تساند زوجها في عمله، فهي ترى عملها اولى بالاهتمام.

وبهزة ذات معنى من كتفي كارلو، إلى التواء شفتيه الساخر، علمت أنه لا يتقبل الأعذار المغمغمة وأن العمل، عنده، فوق الكلمات.

أخذت عينا كارلو تتفحصانها، كلياً، ابتداء من قبعتها الصغيرة، إلى حذائها العالي، ليقول بعدها: «لقد تغيرت جسمانياً.» ولم يحمل صوته اسفاً ولا مديحاً، كان يعلن، فقط، حقيقة واقعة سلّمت بها بايماءة عدم اكتراث خفيفة من رأسها.

لم يكن ثمة ما ترد به على هذه الملاحظة دون ان تعود بذاكرتها إلى ذلك الأسبوع الذي تصرفت فيه بمنتهى الغباء، وتمنت لو يرحل، لو يعود إلى روما أو إلى أي مكان، وكأنما كلماتها ستجذبه وتلقيه بعيداً، او، على الأقل، تجعله يدرك مقدار عدم الترحيب الذي تشعر به لوجوده هذا.

www.liilas.com

قالت له ببرود: «من كرم اخلاقك انك وجدت فرصة، رغم انشغالك البالغ، لكي تحضر إلى هنا، ولو كان أبي موجوداً لشكرك على ذلك.» ووضعت جانباً الكوب التي نسيته في يدها، وهي تستطرد: «وأمل ان تكون رحلة العودة مريحة، فلا تدعنا نعطلك عن الذهاب.»

كان رده شبه ابتسامة اقراراً بما قالت، واستدارت هي، بشيء من الارتياح إلى بوتي التي اقبلت اليهما وقد وضعت المئزر الأبيض فوق ثيابها مما ينبيء بعودتها إلى العمل مرة اخرى، لتقول مخاطبة فينيتيا: «ان بعض الضيوف على وشك المغادرة، يا حبيبتي. فجئت لأخبرك. واذا كنت لا تريدين مني شيئاً، حالياً، فسأجهز الغرفة للسيد كيرو، اذا كان لا بأس في هذا.»

وقطبت فينيتيا حاجبيها وحولت عينيها إلى سيمون متسائلة، إذا كانت اذعنت لاقتراحه بالبقاء بصحبتها وتناول العشاء معها، ولكنها المرة الأولى التي تسمع فيها، انه سيمضي الليلة هنا. لا بد أنه كان يعني ما قال لها من أنه لا يريدها أن تظل بمفردها هذه الليلة. وأن وجود بوتي هنا لا يعني شيئاً لأنها، في نظره، مجرد خادمة، حسب علمه، لا يعتد بها.

قال سيمون رداً على نظرة التساؤل في عينيها ومؤكداً ظنونها، وذلك بلهجة رسمية دون أن ينظر إلى أحد:

«أظن من الأفضل عدم بقائك بمفردك هذه الليلة. وقد حدثت السيدة بوتي عن ذلك قبل فترة.»

وتنهدت فينيتيا، فقد كان لا فرق عندها سواء امضى الليلة هنا أم لا، وافترضت انه يقصد بذلك اظهار الشهامة.

فهو يبالغ في رعايتها اكراماً لذكرى ابيها، ولكنها كانت تفضل لو سئلت عن ذلك اولاً، ولكنها ما لبثت أن جمدت في مكانها عندما تدخل كارلو بينهما قائلاً: «انني اوافقك على ذلك، يا كيرو، وعلى كل حال، ربما سأبقى هنا عدة أيام، فلن يكون ثمة حاجة بك للبقاء.»

وعندما استدار نحو مديرة المنزل، بدت في عينيه اول لمحة من الرقة لطفت من النظرة العدائية التي كانت في عينيه منذ وصوله، كما ظهرت على شفتيه شبه ابتسامة وهو يقول: «سأستعمل الغرفة التي كنت ستجهزينها لكيرو، ولكن لا تتعبي نفسك بترتيب السرير. يمكنني ان افعل ذلك بنفسي.»

انبرت فينيتيا تقول بحرارة، دون تفكير: «يمكنك كذلك، ان تحجز لنفسك غرفة في فندق، بكل سهولة.» ورفت برموشها وهي تشعر بالألم الذي رافق صوتها وهي تقول ذلك، فهي لا تريده هنا ممثلاً ذكرى سوداء لسلوكها المعيب، رافقتها طيلة تلك السنوات. ولكن، هل كان عليها ان تفقد رباطة جأشها إلى هذا الحد، تاركة له مجالاً للظن انه ما زال في امكانه التأثير عليها في حين ان الحقيقة هي غير ذلك؟

ومالت لا شعورياً نحو سيمون، بعد إذ لمحت ومضة من السخرية في عيني كارلو السوداوين، فحولت نظراتها بعيداً بسرعة لتصر على اسنانها بغيظ، وهي تراه يعترض على اقتراحها هذا، قائلاً بصوته الرقيق العاطفي: «ولماذا اذهب الى الفندق في حين يمكنني البقاء هنا؟ صدقيني ان الطعام الذي تصنعه بوتي لا يبارح ذاكرتي، انه أجمل ذكرى صحبتني إلى ايطاليا منذ ست سنوات.»

www.liilas.com

وحالاً، تبادر إلى ذهن فينيتيا، أن ادراك ما يعتبره اسوأ ذكرى، لا يحتاج إلى ذكاء كبير. وبان عليها، بوضوح، الارتباك والشعور بالاستياء وهي ترى احمرار وجه بوتي وهي تجيبه، متجاهلة اطراءه هذا: «اتفرش سريرك بنفسك؟ ما هذا الكلام الفارغ؟ انني اقوم بذلك بكل سرور، سأجهز لك الغرفة التي كانت لك من قبل، فقد سبق وقلت ان منظر الحديقة اعجبك. أتذكر؟ وسيكون من دواعي سرورنا أن نستضيفك هنا مرة اخرى.»

فكرت فينيتيا، بامتعاض، في أن بوتي كان عليها ان تتحدث عن نفسها فقط.. وما لبثت ان تبعتها بسرعة دون ان تنظر الى اي من الرجلين. فليتفقا، فيما بينهما، على ما اذا كانا يريدان، هما الاثنان، ان يبيتا هذه الليلة هنا. اذ من الواضح انه ليس لها كلمة مسموعة في هذا الشأن.

وأخذ منها توديعها للمعزين، وشكرها لهم مؤاساتها في فقد والدها، وقتاً اطول مما كانت تتوقع، وكانت تتلهف إلى الانفراد بنفسها، لكي تجد الوقت الذي يمكنها فيه ان تشعر بالتعود على محنتها هذه في ابيها، عندما تقدم آخر المعزين لتوديعها.

وكان هذا سيمون، ونظرت اليه مرتين لكي تتأكد من انه هو بذاته، لترتسم، بعد ذلك، على شفتيها ابتسامة ألم، وهو يقول باكتئاب: «إنه هو، السيد المطاع، قد امرني بالذهاب. لقد قال انه سيتحدث إليّ غداً، وبعد غد سيدعو إلى اجتماع للمديرين. ويبدو انه يريد الانفراد بك بقية النهار. ولكن، اياك ان تسمحي له بارهاقك بالحديث عن شؤون العمل. فأنت تبدين مرهقة منذ الآن.»

أجابته بجفاء: «اشكرك على تشجيعك هذا لي.»

إن في امكانها الخوض مع كارلو في شؤون العمل... فقط. ولكن، إذا خطر له ان ينكرها بتصرفاتها المعيبة التي صدرت عنها منذ ستة اعوام، فستقتله. وأضافت تسأله بهدوء: «أين هو الآن؟»

كانت القاعة الكبيرة خالية وكذلك غرفة الاستقبال، الا من متعهدي تحضير الأطعمة الذين كانوا الآن، ينظفون المقصف من محتوياته. وأجابها سيمون بصوت ساخر: «في آخر مرة رأيته فيها، كانت مدبرة المنزل تقوده إلى المطبخ لتقدم له كوب شاي وقطعة من الكيك، الكيك الجديد وليس ذلك الصنف الذي احضره اولئك المتعهدون معهم، أظن أن تلك المرأة قد دخلها الغرف. لن يكون من السهل عليها الحصول على مثل هذا الوضع المريح عندما تبيعين البيت هنا. انك فكرت طبعاً، في اقتراحي هذا، اليس كذلك؟»

وقطبت فينيتيا جبينها وهي تسير معه نحو الباب، انها، لا تشعر بالرغبة في اثارة موضوع امكانية بيع البيت. فقد كان حزنها لوفاة والدها مازال حديثاً. والانفصال عن المنزل الذي امضت فيه حياتها، هو قرار لا يمكنها البت فيه بمفردها وبهذه السرعة.

بدا على سيمون التفهم لذلك لأنه استدار يواجهها ويده على مقبض الباب، ليقول وقد كست ملامحه الرقة: «انسي انني حدثتك عن ذلك. وستكون لنا جلسة معاً نتحدث فيها عن كل شيء، عندما يزول خوفك من عواقب ذلك، فانا لا أريد أن أدفع بك إلى قرار أنت غير مستعدة له. ان احترامي لك لا يسمح لي بذلك. ولكن، لو امكنني المكوث معك هذه الليلة،

كما كنت خططت لذلك، لأمكننا أن نتبادل الحديث بكل ارتياح... وعلى كل حال، فهناك شيء مهم اريد أن اتحدث بشأنه معك.»

كان الظلام قد بدأ ينتشر، فقد مضى النهار بسرعة، وكان هذا من حسن حظها، اذ كلما اسرعت بالانفراد بنفسها لتواجه احزانها لفقد ابيها الغالي، كان ذلك أفضل لارتياحها.

مهما كان لدى سيمون ليقوله، ومهما كانت اهميته فانها لم تشعر بالرغبة في سماعه. وبالرغم مما قاله انه لا يريد ان يدفع بها إلى قرار بشأن بيع المنزل، فقد ساورها الظن بأنه كان يهدف لذلك فقط من وراء رغبته في المبيت عندها. وتأكدت ظنونها هذه عندما عاد هو يغلق الباب وهو يقول متوتراً: «اسمعي، اذا كنت تريدينني أن أبقى، فسأبقى... بصرف النظر عما قاله روسي. فهذا منزلك انت، رغم كل شيء، وليس من حقه ان يرغمني على الذهاب. اخبريه فقط انك تريدينني هنا، وإذا لم يعجبه يمكنه ان يرحل إلى حيث يريد، عندئذ يمكننا أن نمضي امسية مريحة نتحدث فيها بصفتنا صديقين قدمين.»

ساور فينيتيا التردد لحظة واحدة. فقد كانت متشوقة إلى أن تجعل ذلك الايطالي يدرك انه ليس في امكانه ان يفرض نفسه حيثما يشاء، ولا ان يقبل ببقاء من يشاء في منزلها، ويرفض من يشاء بمثل هذه الطريقة المستبدة. ولكن التفكير في صحبة سيمون الثقيلة، لساعات طويلة، وفي الأمسية المريحة حسب قوله، كان اكثر ارهاقاً من ان تتحمله.

أجابته بحزم: «لا أظن ذلك.» وعندما رأته يمط شفته

www.liilas.com

السفلى بامتعاض، سارعت تلطف من جوابها هذا، فهو، على كل حال، لم يقصد سوى المنفعة لها، فقالت: «انني لا استطيع القيام بأي شيء، في الوقت الحاضر.» وابتسمت له برقة وهي تقول: «حتى ولا الحديث مع الأصدقاء القدامى. فاذا ما انصرف متعهدو الطعام هؤلاء، فالأغلب أن اغتسل، ثم آوي إلى فراشي مباشرة. وعلى السيد روسي ان يستضيف نفسه.» وكانت تريد، بذلك، ان تتمالك نفسها وتشعر بالقوة، قبل أن تتمكن من احتمال مواجهة كارلو على اساس الند للند.

بدت على سيمون الاستكانة وهو يقول: «اذا كان هذا ما تريديته، فسأتصل بك هاتفياً لنتدبر امر قضاء امسية هادئة معاً، ان انجي ستغيب اسبوعاً آخر على الأقل، وفي نفس الوقت، لا تسمحي لروسي بأن يزعجك بآرائه المتعلقة بشؤون العمل... او أي شيء آخر.»

أجابت وقد شعرت فجأة، بالرغبة في أن يرحل قائلة: «كلا، لن افعل.» وشعرت بالارتياح عندما فتح الباب وخرج.

طوال الوقت الذي عملت فيه معه، لم يحاول ان يتحرش بها، وكل هذه الرقة التي بدرت منه ما هي الا تعبير عن رعايته لها في هذا الحزن الذي يتملكها وليس فيها ما يستوجب اي استياء منها، ولا حاجة بها إلى الشعور بأي اشمئزاز داخلي، او السماح للذكريات القديمة عما سبق وفعله معها، بأن تفسد هذه الصداقة التي بينهما الآن، فقد كان، منذ ست سنوات شاباً حدثاً مغروراً بنفسه، ولكنه الآن، اكبر سناً واكثر حكمة ورقة.

وتراجعت إلى الخلف وهي تغلق الباب، متسائلة عن

www.liilas.com

الوقت الذي سيخرج فيه متعهدو المقصف، لتسمع، من خلفها، صوتاً تشوبه لكنة خفيفة، يقول بازدراء: «يا له من موقف مؤثر. لقد عاد إلى منزله ليداري خيبته. أليس كذلك؟ هل تعلم زوجته انه كان ينوي المبيت هنا؟»

فاستدارت على عقبيها لترى كارلو واقفاً، امامها، واحمر وجهها وهي تجيب: «كلا.» كيف يجرؤ على افتراض شيء كهذا؟ كيف يجرؤ؟ ولكنها، عدا عن احمرار وجهها غضباً، استطاعت تمالك نفسها، لتسأله بصوت ينضح سخرية وبروداً: «هل تخبر زوجتك، أنت، في كل مرة تريد أن تعبث فيها خارج المنزل؟»

فأجاب وعيناه تطفحان بالازدراء: «بما ان لا زوجة لي، فان السؤال غير وارد.»

ولكن فينيتيا لم تجفل. وقابلت نظرته الهازئة، برأسها المرفوع وعينيها المائلتين اللتين تصبحان احياناً من الشحوب بحيث تشبه البلور، ولكنهما الآن تماثلان بلونهما البنفسج. لقد ترك هو هذا المنزل منذ ست سنوات، مصطحباً معه اسوأ فكرة ممكنة عنها، وعند عودته هذه، احضر معه فكرته التعسة تلك، مستعداً لتصديق أسوأ الأقاويل عنها، فيفسر رغبة صديق قديم في البقاء معها لمؤاساتها في هذه الليلة الحزينة، بعلاقة غرامية حقيرة، وقد صب ذلك الحوار اللطيف والذي لا بد قد سمعه، زيتاً في النار الأثيمة التي توقدها مخيلته المريضة.

حدقت في ملامحه الصارمة الباردة، بامعان. ان في امكانه ان يظن ما يشاء، فهذا لا يهمها. واذا هو، حقاً، يريد ان يعتقد فيها الأسوأ، فستساعده هي على ذلك.

www.liilas.com

حاولت ان تتجاهل ارتعاش ركبتيها، غضباً، فتلكأت حوله وهي تلقي إليه نظرة ساخرة، ثم تألقت عيناها، تحت الحجاب الشفاف، بنظرة جانبية ماكرة، وهي تنقر على اسنانها باظفارها بخفة، قبل أن تقول ببطء: «صدق او لا تصدق، ان في امكاني ان اطيق قضاء ليلتي وحيدة احياناً إذا استدعى الأمر. فلا تقلق...» وابتعدت عنه متجهة نحو السلم وهي تنظر اليه من فوق كتفها.

ليــــــلاس
LoOoLa
www.liilas.com

الفصل الرابع

ما أن أغلقت فينيتيا باب غرفة النوم خلفها، حتى شعرت بالخجل البالغ من نفسها، تلك الخجل المدمر الذي تمنت معه، لو تنشق الأرض وتبتلعها، بينما أحاطت ذراعاها بجسمها المرتجف.

أي دافع تملكها وجعلها تقول مثل تلك الأشياء؟ وتتصرف بتلك الطريقة؟ فكارلو روسي لا يعني لها شيئاً الآن. ومنذ سنوات لم تفكر فيه. فلماذا نظرة عدائية واحدة من تلك العينين السوداوين، تجعلها تتصرف وكأنها امرأة مغامرة دون قلب ولا مبدأ؟ وفي يوم جنازة أبيها... لقد جعلها هذا وحده، تشعر باحتقار لنفسها!

غالبت دموعها ثائرة وهي تتنفس بعمق وترتجف، ثم اعتدلت في وقفتها وهي تسمع نقراً خفيفاً على الباب الخشبي تبعه صوت بوتي يناديها.

أجابت بلهجة آلية: «أدخلي.» ثم مشت بخطوات مهتزة إلى منضدة الزينة حيث خلعت قبعتها. إنها لا تريد أن تراها أو ترى ذلك الطقم الأسود مرة أخرى. إنها لا تريد أن يذكرها شيء بهذا اليوم المخيف.

قالت مدبرة المنزل بصوت فيه لمحة من العتب: «كنت أتساءل أين عسى أن تكوني.» وتجاهلت فينيتيا عتبها هذا وهي تنظر في انعكاس صورة عينيها في المرآة. كانتا تبدوان كبيرتين بالنسبة إلى وجهها الشاحب.

www.liilas.com

وما كادت تصل إلى نهاية الفصل الأول حتى سمعت قرعاً على الباب جعلها تلقي بالكتاب جانباً بشيء من الارتياح.

وفكرت، باستسلام، انها بوتي قد عادت لتضايقها بمعاتبتها لعدم تناولها عشاءها. ولكن من دق الباب لم يكن مديرة المنزل. كان كارلو. ولم يكن مزاجه هادئاً، كما بدا من صفقة الباب خلفه بعنف.

كان يحمل صينية، ورفعت فينيتيا وجهها، وجسدها يهتز من الغضب. وقالت بعنف: «لا أتذكر أنني دعوتك إلى غرفتي، أخرج من هنا.» ولكنها أخذت تتساءل، بعد فوات الأوان، عما جعله يستحق مثل هذا العنف منها، وندمت إذ أظهرت له، مرة أخرى، السهولة التي يستطيع بها دفعها إلى موقف التحفز للدفاع. فهو الآن، لا يعني لها شيئاً على الاطلاق... وهكذا حاولت أن تغير من لهجتها، القول بعدم اكتراث: «إذا كنت قد أحضرت لي شيئاً لآكله، يمكنك أن تعيده، فأنا لا أريده. آسفة.»

حاولت أن تمد يدها إلى الكتاب، ولكنه تقدم نحوها دون تردد، بالرغم من جوابها البارد، ووضع الصينية على حضنها، وهو يأمرها: «كلي، أو سأرغمك على ذلك. ولا أظن أياً منا يريد هذه النتيجة.»

قطبت حاجبيها وهي تنظر إلى إناء الحساء الذي يتصاعد منه البخار. ولم تشأ إظهار عصيانها صراحة. فقد كان يعني تماماً ما يقوله عندما هدد بإطعامها بالقوة. وضعت ملعقتها في الإناء تحرك الحساء وهي ترمقه بنظرة جامدة قائلة: «لا حاجة بك إلى الوقوف فوق رأسي-»

وجدت في فمه الملتوي بسخرية، وعينيه السوداوين

www.liilas.com

الرائعتين ونظراتهما الحادة المتأملة، من الضيق ما سلبها هدوءها النفسي، ولم تستطع مقاومة الرجفة التي اعترتها عندما قال بجفاء: «لقد أخبرتني بوتي بأنك لم تأكلي، في المدة الأخيرة، ما يكفي ذبابة لكي تعيش، ولهذا سأبقى هنا إلى أن أتأكد من أنك ستشربين آخر قطرة من هذا الحساء.»

فكرت بتمرد، انه يتكلم بصفته ذلك المستبد العاتي، وأخذت تراقب عينيه وهما تتنقلان بين غلاف ذلك الكتاب ووجهها الغاضب.

يبدو أنه يراها تستحق الإزدراء... إذ أن رأيه فيها قائم على ما حدث منذ سنوات، وعلى تعليقاتها الحمقاء عصر هذا النهار. فهو ما كان ليهتم إذا هي ماتت من الجوع أمام عينيه، فلماذا يصر الآن على أن يكسر ما تعودت عليه طيلة الأسبوع الماضي عندما حطمت صدمتها بوفاة أبيها حتى تلك الشهية الضئيلة التي روضت نفسها عليها بكل قسوة؟

وجعلها هذا التفكير تكف عن إنهاء ما تبقى في الإناء من الحساء، ليعود إليها شعورها بمقدار خسارتها، ويمزق أعماقها. وأبعدت الصينية عنها، ثم غطت وجهها بيديها لتتصاعد شهقاتها من صدرها وقد مزقها الألم.

كان حزنها شيئاً خاصاً بها، ولم تكن تريد له أن يظهر بهذا الشكل. فالإنهيار أمام الرجل الذي حطت من كرامتها أمامه منذ ست سنوات، كان فيه الإذلال النهائي لها. ولكنها لم تعد تستطيع ان تمنع دموعها من الإنهمار مثلما عجزت عن اخراج كارلو من الغرفة.

وفي غمرة هذه العاصفة من المشاعر، شعرت به. مادّاً يديه مبعداً يديها عن وجهها، برفق وإنما بثبات، بينما

www.liilas.com

أخذت عيناه السوداوان تمعنان النظر في ملامحها
الحزينة.
أغمض عينيه فجأة وقد تجهمت ملامحه الوسيمة،
وأمسكت هي أنفاسها وهي تشعر بانسحابه من شيء
مجهول لم تدرك كنهه. وارتجفت وهو يقول بصوت خشن:
«إبكي... إبكي أباك ولا تخفي أحزانك يا فينيتيا... فليس
هذا بالذي تخجلين منه.»
وأطلقت كلماته هذه لدموعها العنان. وللمرة الثانية في
حياتها، تبكي أمام هذا الرجل. بكت الحب الضائع، والفراغ
المؤلم الذي تركه ذلك الضياع. وتعلقت هي بتلك التعزية
الغريبة الحلوة المرة، وقد محت هذه النفحة من دفء
الانسانية وتفهمها، آثار الذل والعار.
وفي النهاية، هدأت شهقات فينيتيا تاركة إياها في
منتهى الإرهاق إنما مغمورة بسكينة غريبة، وداخل ذلك
الفراغ، كان ثمة شيء يتسلل ليزيل كل تلك التحصينات التي
انطبعت في ذهنها. كانت قد حدثت نفسها بأنه لم يعد يعني لها
شيئاً... وان الحب الذي تصورته لا يخمد، لم يكن سوى
تصورات رسمتها مخيلة فتاة مراهقة. وقد حدثت نفسها بذلك
مراراً وتكراراً حتى لم يعد أمامها خيار سوى الاعتقاد بذلك.
ولكن، ها هو ذا اضطرابها يحدثها بشيء آخر مختلف
تماماً. إنه يحدثها بأنها متناغمة مع دقات قلبه، وكيانه الذي
لا نظير له، لتتجاوب مع كل هذا، كبرعم يتفتح في أشعة
الشمس، هادماً الحصون العالية التي شيدتها، بكل حرص،
لتغطي الجرح الناشيء عن حبها القديم ذاك، وكاشفاً الألم
الناشيء عن ذلك الجرح الذي لم يكن لينسى أبداً.

www.liilas.com

أسندها برفق إلى الوسائد، وهو يقول وقد لوى شفتيه: «يالك من فتاة غامضة، يا فينيتيا. لقد جئت إلى غرفتك متوقعاً ما وجدته تماماً... امرأة جميلة قد خاب أملها في قضاء الليلة مع حبيبها. ولكني وجدتك تشهقين باكية أمامي كطفلة صغيرة.»

كان يتحدث واضعاً يديه في جيبي بنطاله، وتابع قائلاً: «لم أكن أظن أنك تملكين روحاً حساسة.»

وارتجفت وهي ترى هذا التغيير المخيف فيه، فجذبت غطاء السرير إلى ذقنها، وقد غشى عينيها عدم الفهم، إلى أن أمكنها استرداد قدرتها على التفكير، نوعاً ما، ففهمت ما يعنيه، لتجيبه بحدة: «إن سيمون ليس...»

فقاطعها بخشونة: «لا تكذبي. فإن لم تكونا، أنت وكيرو حبيبين منذ ست سنوات، فقد كنتما على وشك أن تكونا كذلك، وقد رأيت كل ذلك من حيث كنت واقفاً. ورغم أن له زوجة الآن، فإن الصلة بينكما لا يمكن أن تخفى.»

ولم يكن ثمة ما تستطيع قوله دفاعاً عن نفسها. لم يكن هناك دليل كاف يمكنها به أن تمحو هذه الأفكار المغلوطة التي تأصلت جذورها في نفسه، فيتأكد من الحقيقة. ولكن، وتساءلت بينها وبين نفسها بكآبة، ما أهمية ذلك؟ ولماذا تكلف نفسها عناء الشرح، أصلاً؟

ولكن ألمها لم يكن محتملاً عندما أدار إليها ظهره ومشى مسرعاً نحو الباب وكأنه لم يعد يستطيع تنفس هذا الهواء لحظة واحدة. وامتزج هذا الألم والعجز بمنتهى التحقير والإذلال عندما توقف عند عتبة الباب وهو يقول بسخرية مهينة: «سأطلب من بوتي أن تحضر إليك حساء طازجاً حاراً لكي تتمكني من النوم.»

وفي الصباح التالي، أخذت فينيتيا تفكر، منطقياً في أن تركه لها بكل تلك القسوة، له ما يبرره، وقد جعلها تهورها الغبي ذاك، وهي تتبجح بالادعاء، تنكمش من شدة الاحتقار لنفسها.

ارتدت جاكتة صوفية فوق التنورة الرمادية التي أخرجتها من خزانة ثيابها بشكل اعتباطي، لتضع، بعد ذلك شيئاً من الزينة على وجهها بشكل متحفظ، وهي تحدث نفسها بأن عليها أن تصلح الأمور، على الأقل لتجعله يصدق ما هي عليه من العفة.

إنها لم تعد في الثامنة عشرة من عمرها، وتصرفاتها منذ ست سنوات، رغم ما تشعرها، من احراج، كانت، على الأقل، صادرة عن براءة. فقد اعتقدت تماماً، في ذلك الحين، بأنها كانت تحبه.

بينما، أمس، تعمدت أن تكذب عليه. لقد كان سلوكها رخيصا عدا عن أنه يطال سيمون أيضاً الذي حسب ما تعلمه، ليس لديه أية رغبة في خداع زوجته، وسيتملكه الغضب والإشمئزاز حتماً، إذا هو اكتشف توريطها له بهذا الشكل.

في امكانها فقط أن ترد ذلك الإنحراف المريع، دون ذكر لحظة جنونها الأخير عندما ظنت، خطأ أن صبابة المراهقة البلهاء تلك ما زالت حية في نفسها، إلى الإرهاق النفسي الذي تعانيه، واستمرار شعورها بالصدمة لموت أبيها الحبيب. لقد كان معها، تلك الليلة، يتناقشان في شؤون العمل لنهارها ذاك، ثم يقترحان أن يمضيا الوقت يلعبان الشطرنج بدل مشاهدة التلفزيون. وكانت نفسه، كالعادة عامرة بالهدوء والمحبة. وفي الصباح التالي، كان قد

رحل. لقد تسلل مبتعداً أثناء الليل، دون أن يمسك بيده أحد ليواسيه، أو يودعه.

وأخذت تصلح فراشها لتبعد عنها هذه الذكريات المؤلمة، وتنظم غرفتها مما أعاد إليها السيطرة على مشاعرها. فهي ستذهب غداً إلى العمل ومن ثم تعود إلى حياتها العادية، وهذا النهار ستخبر كارلو بالحقيقة. إن عليها أن تقوم بذلك ولو لتستعيد احترامها لنفسها.

قالت بوتي تجيبها عن سؤالها: «لقد خرج منذ أكثر من ساعة. فماذا تريدين لفطورك؟ إنما إياك أن تخبريني مرة أخرى، أنك لست جائعة؟ إنني سأستقيل من العمل إن فعلت هذا، وأنا أعني ما أقول.»

وأذعنت فينيتيا رغم علمها أن بوتي لا تعني حقاً ما تقول. إن عليها أن ترغم نفسها على الطعام، وإلا فستمرض، وهذا لن يكون فيه فائدة لأحد. وهكذا ردت عليها، بفتور، قائلة: «أي شيء، خبز محمص، فاكهة، حبوب... أي شيء عندك.» وأخذت تمشي في أنحاء المطبخ الفسيح، وهي تتمنى لو استطاعت التخلص من أسباب هذا القلق. ثم عادت تسألها بشيء من الأمل: «هل رحل نهائياً؟ أعني كارلو. هل أخذ معه أمتعته؟» وتساءلت عما جعلها تشعر بالهدوء، باعثاً في نفسها هذا الإرتياح الغريب عندما أجابت مدبرة المنزل هازئة: «كلا بالطبع. لقد قال انه سيعود بعد الظهر. أظنه سيمضي هنا بضعة أيام. وربما أسابيع. إنه يراقبك ويحيطك بعنايته كأي رجل شهم طيب الأخلاق.»

ولكن، حتى مع هذا الشعور الغامض بالإرتياح، كان في

www.liilas.com

صوت فينيتيا شيء من الحدة وهي ترد عليها قائلة: «ربما هو يراقب العمل ليلاحظ أسهمه، ليس إلا.»

وكبحت آهة ضيق وهي تتناول فطورها واستطاعت أن تاكل هذه المرة، اكثر مما أكلته طيلة الأسبوع الماضي، وذلك بسبب عيني بوتي اللتين كانتا تراقبان بحدة، كل لقمة تاكلها، وعندما رفضت بحزم قطعة ثانية من الفاكهة، رفعت بوتي الطبق الصيني من على المائدة، وهي تخلع مئزرها قائلة: «إنك لن تمانعي إذا أنا خرجت الآن، أليس كذلك؟ إنني لم أقم بزيارة اختي منذ أسبوعين ولا بد أنها غاضبة مني الآن. سأستقل باص الساعة العاشرة، ثم أعود في الرابعة لكي احضر العشاء.»

قالت فينيتيا وهي تدفع بكرسيها مبتعدة عن المائدة: «سأوصلك بالسيارة.»

كانت شقيقة بوتي الكبرى أرملة، تسكن على بعد أميال قليلة، في ضاحية المدينة. وكانت تعاني من مرض جلدي يمنعها من التنقل كثيراً، فإذا تأخرت بوتي عن موعد زيارتها المعتاد لها، فإن الكآبة تستبد بها، فتتهم اختها بعدم الاهتمام بما قد يحدث لها، مما يخرج بوتي عن صبرها. وتابعت فينيتيا قائلة: «ولا لزوم للاستعجال في العودة، إذ في امكاني الابتداء بتجهيز العشاء، فانا لن أذهب إلى المكتب اليوم، فقط، اتصلي بي عندما تريدينني أن أذهب لاحضارك.»

إذا هي باعت هذا البيت، حسب نصيحة سيمون، لتنتقل إلى شقة في ضواحي لندن، سيكون عليها أن تصحب معها بوتي، وهذا يجعل زيارتها لأختها من الصعوبة بمكان،

مما سينتج عنه مشكلة مزعجة. ولكن، لم يكن ثمة سبيل إلى أن تتخلى عن هذه المرأة التي كانت بمثابة أم ثانية لها مدة أربعة وعشرين عاماً. فليس من السهل أن تجد عملاً وهي في سنها هذا، كما أنها تعلم أن ليس في امكانها أن تعيش مع أختها على الدوام.

كان المستقبل القريب ما زال يشغل بالها عندما أدخلت سيارتها الكاراج، بعد ذلك بنصف ساعة، لتعود إلى المنزل. إن بيع المنزل سيسبب لها لوعة بالغة، ولكن تجارة التجزئة تمر في ظروف شديدة الصعوبة، وزيادة رأس المال كان شيئاً حيوياً. ولكي تبدأ، حتى في التفكير في المنافسة مع سلسلة الأسواق الكبرى، فإن عليهم أن يشتروا كميات كبيرة لا تحصى، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يستطيعون بها منافسة مستوى الاسعار، مما يبقي فروع الشركة مفتوحة والموظفين في العمل. أما رأس المال فلا بد أن يأتي من مكان ما. وقد سبق واستدانوا من البنك مبلغاً كبيراً، وإذا لم تحصل معجزة، فإن المنزل ومحتوياته ستضيع.

قطبت جبينها وهي تترك معطفها في القاعة ثم أخذت تفرك يديها معاً، فقد كان الجو خارجاً شديد البرودة والهواء قارساً. وكانت ترتجف رغم التدفئة المركزية هنا. واتجهت إلى غرفة المكتبة لتتصل بسيمون هاتفياً. وإذا كان غير مشغول في فرصة الغداء فستوافيه إلى المدينة حيث يمكنهما مناقشة المشكلة برمتها في محاولة لإيجاد حل لا يستلزم معه بيع المنزل وتشريدها مع بوتي.

وإذا بها تشعر بوجهها يتوهج عندما رد عليها كارلو بلهجته التي لا يمكن أن تخطئها.

www.liilas.com
www.liilas.com

بادرته قائلة دون تفكير: «أريد أن أتحدث إلى سيمون.»
كان عدم توقعها سماع صوته قد بعث فيها الاضطراب، وأدركت أن صوتها بدا كصوت صبي سيىء الخلق. وجاء رده المقتضب (لماذا)؟ ليجعلها ترد بحدة: «لا أظن أن هذا من شأنك.»

أجاب: «كلا؟» وكان في صوته من الحنق والتعالي ما دفع فينيتيا إلى مقاومة الرغبة في اقفال الهاتف في وجهه. وصرت على أسنانها عندما تابع قائلاً بصوت رقيق: «إن أخبرتني بما تريدين منه، فسأبلغه ذلك، هذا إذا كان الأمر يحتمل تدخل شخص ثالث.» وثارت ثائرتها لهذا التلميح الذي لا مبرر له، فماذا يهمه لو أنها على علاقة مع نصف رجال مدينة لندن؟

قالت تاركة له أن يفهم ما يشاء من وراء هذا: «أريد مقابلته لنتناول الغداء. فقط أخبره أن يوافيني في الساعة الواحدة إلى المكان المعتاد.» ولم تشأ أن تذل نفسها بإخباره أنها، وسيمون، في حاجة إلى حديث خاص يتعلق بالعمل.

سمعت همهمة خفيفة من ذلك الصوت العميق قبل أن يرد عليها قائلاً: «آه... غداء. لسوء الحظ أننا غارقان في حسابات السنة الماضية، قد نتأخر في هذا العمل إلى ساعة متأخرة من عصر هذا اليوم. إلى اللقاء.»
وأقفل الهاتف لتعرف أنه يجد لذة خبيثة في تحقيرها، وتمنت لو تستطيع أن تخنقه بإحدى ربطات عنقه الحريرية الثمينة. ومن أين له الحق في مراجعة دفاتر الحسابات دون إذنها؟ أو أن يتحكم بكيفية قضاء سيمون، الذي هو أعلى

www.liilas.com

موظفي الشركة راتباً واكثرهم احتراماً، لفرصة الغداء؟ ولماذا يشعر هو بكل هذا السرور إذ يمنعها، وسيمون، من قضاء الوقت معاً؟

بعد ذلك بعشر دقائق، أصبحت من الهدوء بحيث تذكرت أنه سبق لسيمون تنبيهها بأن كارلو طلب عقد اجتماع معه هذا النهار، وكذلك اجتماعاً للمديرين غداً. ولو كانت تذكرت هذا من قبل لما فكرت في الاجتماع بسيمون عند ساعة الغداء. كما أن كارلو عنده حقوق بالطبع، فهو يملك، عملياً نصف الشركة، ومن المنطقي أن يرعى مصالحه، فهو لا يستدعيها لأي مناقشة حتى اليوم التالي عندما يكون قد مر على الجنازة ثمانٍ وأربعون ساعة، فيكون عند ذاك، في إمكانها أن تركز اهتمامها على العمل الذي بين يديها.

وها هي تنسف كل شيء مرة أخرى، إذ تضيف، دون تفكير، إلى أفكاره الخاطئة عن علاقتها بسيمون، برهاناً جديداً. لقد كانت تريد أن تخبره الحقيقة هذا المساء، حتى ولو اقتضى الأمر العودة ست سنوات إلى الوراء، إلى ذلك اليوم الفظيع عندما رآهما معاً في ذلك المشهد عند حوض السباحة.

أمضت بقية النهار وقد خاب سعيها في الوصول إلى قرار بشأن ما إذا كان عليها أن تبيع المنزل أم لا. واستغلت الوقت لإلقاء نظرة على أوراق أبيها، رغم عدم ميلها إلى هذا. فقد كان ما مر بها، تجربة مؤلمة ولكن لم يكن لديها مناص من ذلك. وعندما علا رنين الهاتف، شعرت بالإرتياح لهذه المقاطعة.

رفعت السماعة بعد أن دفعت بكومة الأوراق إلى أحد

www.liilas.com

الأدراج وهي تلقي نظرة إلى ساعتها. كانت الساعة الثالثة، فقد مر الوقت بسرعة لا تصدق، وعندما سمعت صوت بوتي يقول: «إنه أنا. هل هذا أنت؟» ابتسمت وهي تجيب: «كلا، إنها خيالي. هل تريدينني أن أحضر لأختك؟ لقد أخبرتك ألاّ تستعجلي في الحضور. ولكن إذا كانت أختك قد ضايقتك فسأحضر فوراً.»

سألتها بوتي: «أين كنت طيلة النهار؟ أنظري من النافذة.» فاستدارت فينيتيا بكرسيها لتنظر من النافذة خلفها وقد قطبت جبينها. واتسعت عيناها دهشة وهي ترى الثلج يغمر كل شيء. وتابعت بوتي تقول: «مازال الثلج ينهمر منذ ثلاث ساعات. وكنت سأحضر بالباص في الساعة الثالثة والنصف، ولكنه، في مثل هذه الحال، لا يسير أبداً. وأنا لا أريدك أن تجازفي بالخروج. فإذا لم يكن لديك مانع فسأبيت الليلة هنا. هل عاد السيد روسي؟»

أجابت فينيتيا: «كلا، إنه لم يعد بعد. ولا بد أن تبقي بالطبع حيث أنت. لقد كنت أراجع أوراق أبي، فلم أنتبه إلى سقوط الثلج...»

قاطعتها مدبرة المنزل متذمرة: «وهذا يعني أنك لم تتناولي غداءك. إن فكرة بقائك وحدك لا تعجبني، ولكن ربما كان السيد روسي في طريق العودة الآن و...»

فقاطعتها فينيتيا بدورها: «أشك في ذلك، فإنه أعقل من أن يحضر في هذا الجو. ولكن لا تقلقي إن في استطاعتي العناية بنفسي تماماً. وسأراك عندما تتحسن حال الطرق.»

وقفت فينيتيا تتمطى، ومشت إلى النافذة تطل منها على الفناء الذي كان مغطى تماماً بالثلج الذي كان يهدد

www.liilas.com

بالتساقط منذ أيام. وخامرها شعور بأنه لم يتساقط إلا لاغاظتها هي!

خاطبت نفسها ساخطة أن عليها أن تكون مسرورة لارتياحها من وجود كارلو الذي لا بد أن يجد غرفة في فندق ما في المدينة، ويتركها بسلام.

وهكذا اشعلت نار المدفأة في غرفة الجلوس الصغيرة، ثم حضرت لنفسها فنجاناً من الشاي شربته في المطبخ، ومن ثم شرعت في اعداد الطعام.

قفز قلبها وأخذت تلهث وكأنها تسلقت قمة جبل افرست لتوها عندما رأته يدخل المطبخ وردت السبب إلى عدم توقعها رؤيته هنا، وقد التصق شعره الأسود المبلل، بجمجمته، وتناثرت ندف الثلج على معطفه الإيطالي الصنع.

جعلتها الطريقة التي كان ينظر بها إليها، تشعر بشيء ما يهددها، وكأنها قد وقعت في الشرك حيث لا ملاذ تلجأ إليه. وبدا لها أسمر ضخماً خطراً، وكان تألق عينيه السوداوين، والتواء فمه، يحملان معنى لم تكن تريد أن تعرفه. وقالت بسرعة بلهجة خشنة تنطق بالإتهام، وقد دار لسانها دون وعي: «لماذا عدت؟» توهج وجهها وهي تتلقى جوابه الذي لم يعجبها إذ قال:

«عدت، طبعاً، للإهتمام ببعض الأعمال التي لم تنتهِ بعد. هل ظننت حقاً أنني لن أعود لأطالب بالذي سبق وعرضته عليّ بكل سخاء، منذ ست سنوات؟»

ليـــــلاس
LoOoLa

الفصل الخامس

أجابت فينيتيا كاذبة، وقد بان عليها الانفعال: «إنني لا أدري عما تتحدث.» وتشاغلت بعمل الصلصة، فقد كان ما قاله شيئاً كريهاً بالنسبة إليها. وبقيت مديرة ظهرها إليه، لأنها كانت تعلم أن وجهها كان شديد الاحمرار، وهي تتابع: «كان ما قلته مجرد حديث، مع أنه ما كان لي أن أهتم بذلك. فقد ظننت أنك من الذكاء بحيث تبيت في المدينة هذه الليلة بالنسبة لحالة الطرق.»

ردّ بشيء من السخرية: «آه... ولكنني أظن أنك تعلمين جيداً ما الذي أتحدث عنه. على كل حال، إذا كان لا بد لنا من أن نغير هذا الحديث، فلنفعل.» وأخذ يقترب منها. عضت شفتها وقد ابتدأت يداها ترتجفان وهي تتظاهر بانشغالها في العمل الذي بين يديها، بينما هو يقول بكل رقة: «هل ظننت حقاً أن مجرد عاصفة ثلجية يمكن أن تمنعني من الحضور؟ لا أظنك تعرفينني مطلقاً.»

ولم تعرف السبب في أن هذا بدا لها نذيراً بشيء ما... فقد تركت لمخيلتها العنان، ولشعورها بوجوده قرب كتفها، أخذت تحرك محتويات الإناء بعصبية، وقد أمسكت أنفاسها، ذلك لأن أقل تغير في طريقة تنفسها ستفضح مشاعرها وتريه مبلغ تأثير وجوده عليها.

قال: «لقد تغيرت، يا فينيتيا.» وأرادت أن ترد عليه بحدة ولكن هذا أيضاً سيفضح مشاعرها. وتابع قوله: «عندما

www.liilas.com

قابلتك لأول مرة، كنت ما زلت فجة تماماً، وكل ما كنت أراك تقومين به هو طلاء أظفارك، والاستلقاء عند حوض السباحة... لتندفعي أحياناً، إلى غرفتك لتضعي على وجهك المزيد من أدوات الزينة. فما الذي أحدث فيك كل هذا التغيير؟ إن هذا يثير العجب.»

وفكرت، بجفاء، في أنها لو أخبرته بالسبب لما صدقها، وأنزلت الأناء عن النار. إن حبها له هو الذي غيّرها. وكذلك لاكتشافها أنها لم تستطع ان تحصل على ما تريد.

وعاد يقول وهو ينظر إليها ساخراً: «أليس ثمة ما يقال؟ إذن، فسيسرني أن اكتشف السبب بنفسي، بطريقة ما.» ولاحت على شفتيه ابتسامة ملتوية، ثم استدار خارجاً من الغرفة بكل غطرسة، فأطلقت آهة ممزقة وهي تضغط بأصابعها على صدغيها.

إن هذا الرجل ينذر بالخطر. فإن امتزاج التهديد، عنده، باللطف، قد أرهق أعصابها. فلا عجب ان غيّرها حبها له بهذا الشكل. هذا التغيير الذي كان أعمق كثيراً مما بدا على ظاهرها. فقد أصبحت ظاهراً، تلك الفتاة المتأنقة الناعمة، واستحالت البدانة رشاقة كما أصبحت الفتاة العابثة، امرأة عاملة بالغة الرقة والدماثة.

ولكن التغيير في داخلها، كان اكبر واكثر عمقاً. ففي سكون الأيام الأولى بعد رؤيتها له وهو يرحل، توصلت إلى مفهوم جديد لما ينبغي أن تكون عليه حياتها. فقد انتهت فورة شبابها برحيله. لقد دمر رفضه لها، ثقتها الشديدة بنفسها، لتدرك، عند ذاك، أن الحياة ليست دائماً، تلك الحفلة الحافلة بالبهجة والمسرات، على الدوام.

وكان من جراء ذلك أن انبثقت فينيتيا جديدة اكثر قوة وتأملاً في الحياة. فهي لن تعود، مرة أخرى، إلى التهافت على أي رجل، وستنحصر حياتها في عمل الأسرة ومنزل الأسرة. وإذا هي تزوجت فسيكون ذلك لأسباب حقيقية، مثل الزمالة والاحترام المتبادل، الحنان والمودة. أما الأولاد، فهي، في الواقع، لم تفكر في هذا الأمر.

أخذت تجهز المنضدة للعشاء في غرفة الجلوس الصغرى التي اختارتها لقضاء هذه الليلة البالغة الشديدة، ثم اشعلت النار في المدفأة موصلة التدفئة المركزية، وهي تتساءل كيف ستمضي هذه الليلة في غياب بوتي ليكون حائلاً بينها وبين كارلو، فقد كان يخيفها.

«هل في امكاني مساعدتك؟» وجعلها صوته القادم من اتجاه الباب تستدير على عقبيها، ثم تقابل تلك العينين السوداوين الماكرتين بتحفظ بارد. كان قد استبدل ملابسه، مرتدياً جاكتة صوفية من الكشمير وبنطالاً أسود مما جعله يبدو وكأنه زعيم عصابة، وبالرغم من كل نواياها الطيبة، استعاد ذهنها ذلك الشعور الذي تملكها وهو يواسيها، وكذلك التهديد الرقيق في صوته وهو يقول انه عاد للمطالبة بما سبق وعرضته عليه منذ ست سنوات.

كان في هذا ما يكفي لكي يحمر وجهها إلى جذور شعرها بل اكثر. ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وكأنه قرأ أفكارها فحوّلت عنه أنظارها بسرعة، وردت عليه بحدة زائدة لم يكن عرضه ذاك لمساعدتها، يستحقها: «كلا، شكراً. كل شيء جاهز وما عليّ إلا أن أحضره.» وهرعت خارجة من الغرفة، فتبعتها ضحكته الخافتة التي جعلتها تصر على أسنانها.

www.liilas.com

لا شك في أن هذا المساء سيكون مرهقاً. فقد كان يبدو عليه بجلاء انه يستمتع بتمريغ أنفها بقذارة سلوكها ذاك، العابث الفاسق منذ ست سنوات. فهو ليس بالسيد المهذب. ولكن، بالرغم من مخاوفها وشكوكها تلك، فقد مرت وجبة العشاء بسلام. وكان يتحدث باسترخاء ودون أية مشاكسة. وتساءلت هي عما إذا كانت قد أخطأت في حكمها عليه. ثم اتجهت وبدون قصد، إلى ناحية خاطئة بعد أن أخبرته عن اضطرار بوتي إلى البقاء مع شقيقتها، فقالت: «عندما تنتقل إلى لندن معي، إذ ليس أمامها خيار آخر، فسيكون عليها أن تمضي ساعات طويلة لتصل إلى القرية في المواصلات العامة لزيارة أختها، مما لا يسمح لها بزيارات متكررة وهذا سيسبب لشقيقتها أندي نوبات غضب على الدوام.»

حدق فيها عابساً وهو يسألها: «ولماذا تريدين أن تنتقلي إلى لندن؟» ولامت فينيتيا نفسها، ذلك أن التحدث عن مستقبلها معه كان آخر شيء تريده. فذلك هو من شؤونها العملية. وما تقوم به لضمان مستقبلها كان شيئاً خاصاً بينها وبين سيمون بوصفه مستشارها. ولكن أن تكذب عليه، أن تدعي بأنها تريد أن تنتقل إلى حيث أضواء المدينة المتلألئة، كل هذا لن تكون نتيجته سوى تأكيد رأيه السيء فيها، وما سبق وقامت به من تدمير سمعتها بالنسبة إليه، يكفي تماماً.

قالت مكرهة: «كما لا بد أن تعلم، ان العمل في حاجة ماسة إلى امدادات لتقوية رأس المال. هذا إذا كنا نريد أن نحتفظ بالشركة قائمة وبالموظفين يعملون. فبيع هذا البيت ومحتوياته سيسد هذه الحاجة.»

http://www.liilas.com

فقال رافعاً حاجبيه: «أليس لي أنا رأي في هذا الجنون؟» ورغم أن صوته كان محايداً تقريباً، فقد لاحظت في لهجته تشدداً أكثر من المعتاد. وهزت رأسها قائلة: «كلا في الحقيقة. كلا.» ولم تكن تنظر إليه، لأن شيئاً في ذلك التصميم الذي بدا في نظراته جعل ضربات قلبها تتلاحق.

وتصاعد صوت غليان إبريق القهوة، ونهضت هي من مكانها لتملأ فنجاني قهوة. وعندما عادت بهما، قال لها بلهجة حاسمة: «لا يمكنني أن أسمح لك بالقيام بأي عمل بهذا الإندفاع. ماذا سيحدث لو ذهب ذلك المال وعدت إلى نفس هذا الوضع الذي أنت عليه الآن؟ لن يكون لديك، آنذاك، أي شيء ذي قيمة تستفيدين منه. لا شيء.»

قالت بكبرياء وهي تضع أمامه فنجانه بعنف: «أنا وسيمون، لنا خططنا. فلماذا هذه الإنهزامية؟»

ردد ساخراً وهو يدير فنجانه بأصابعه الطويلة: «أنا وسيمون. إنني أتصور أن لديه الكثير من الآراء، خصوصاً إذا كانت تطيل من أمد وظيفته ذات الراتب المرتفع وتموّل رحلاته العملية إلى خارج البلاد. وأكرر أنني لا استطيع أن أسمح لك بالاندفاع في عمل كهذا.»

شعرت فينيتيا بسيطرتها الضئيلة على اعصابها، تتبدد، وقبل أن تقدم على أي عمل أحمق، كأن تصرخ في وجهه أو أي شيء آخر، أفرغت في فنجانها بقية القهوة من الإناء، لتقول بعد ذلك بحدة: «أظن أنه ليس لديك الحق في أن تملي عليّ مشيئتك في هذا الموضوع. إذ أنه بعد إثبات الوصية قانونياً، سيصبح هذا المنزل ومحتوياته ملكي اتصرف به كما أشاء.»

وبدت نظرة ظافرة في عينيها الواسعتين المائلتين دون وعي منها، تتحداه بها أن يناقشها في ذلك، ولكنها لم تتوقع قوله: «إذا لم تكن المسألة هي أنني وعدت أباك بأن أهتم بمصالحك، لكنت تفرجت عليك مسروراً وأنت تذهبين إلى الهاوية في طريقك الذي تختارينه.»

واستند إلى الخلف في كرسيه، واضعاً يديه خلف رأسه. وعيناه شبه مغمضتين وهو يراقب تلوّن وجهها، تاركاً إياها اكثر شحوباً من قبل. وعاد يقول: «على كل حال، بما أن ذلك الوعد لأبيك قائم، وبما أن مصالحي أنا في الشركة كذلك، هي في الاعتبار، فإن في إمكاني أن أعرض عليك خيارين.»

فقالت: «ما ألطف هذا.» كان التهكم قد جعل صوتها أكثر حدة. كانت تعلم أن والدها قد حافظ على صلة قوية بكارلو بعد زيارته. ومنذ انتهاء العداء بين الأسرتين، اصبحت لهفته مضاعفة للابقاء على هذا الاتصال وتسوية النزاع الذي دام سنوات طويلة منذ انشقت الأسرة، وأصبح أحد فرعيها انكليزياً محولاً اسم روسي إلى روس.

قال وعيناه تتابعان كل حركة منها إذ تنهض واقفة وهي ترتجف لتبدأ بجمع الأطباق الفارغة: «إنني موافق معك، فإن شهامتي تحيرني، أنا نفسي، أحياناً.»

كان تشدقه الوقح بهذا الكلام، اكثر مما كانت تستطيع احتماله، فأطبقت فمها بشدة وهي تستدير لتخرج حاملة الأطباق. ولكن حتى دون أن تراه يتحرك من مكانه، شعرت بأصابعه الفولاذية تمسك بمعصمها، فتفلت من يدها الأطباق لتسقط على المائدة محدثة قرقعة مزعجة.

www.liilas.com

ولجهته وهو يقف برشاقة، ويده ما زالت تمسك بمعصمها بشدة يقودها بكل ما في شخصيته المسيطرة من غطرسة متأصلة، إلى الأريكة الواسعة بجانب النار المشتعلة في المدفأة.

وأدركت أن أية محاولة للهرب منه إلى خارج الغرفة لن تجدي، ذلك أنها علقت في الفخ، وعليها أن تتحمل النتيجة.

لم يكن الوقت الآن مناسباً لاطلاعه على نوع علاقتها الحقيقية بسيمون، إذ سيظنها تحاول بذلك تبرئة نفسها. وتريد بذلك، تغطية الذكريات المخجلة التي أثارها وجوده، وذلك من باب الإغاظة له.

وفي اللحظة التي يكون اهتمامه متحولاً إلى العمل، ويكون في امكانها أن تقنعه، بشكل ما، بأنها قادرة على تنظيم شؤونها بنفسها، عند ذلك يوضع وعده برعايتها، على الرف كما يقال.

لقد كان قربه منها، على الدوام، سيىء التأثير على توازنها. وجلست بحذر، بعيدة عنه، على الوسائد اللينة، وهي تجاهد للسيطرة على نفسها، شاعرة بنظراته تتسمر على جانب وجهها المتحجر.

خاطبت نفسها قائلة، اهدإي، وإلا سوف يسحقك بقدميه، محاولاً أن ينتزع من بين يديك السيطرة على شؤون العمل. ثم قالت له بما أمكنها من منطق: «إنني لا أرى ثمة فائدة في هذا الجدال المستمر، ربما إذا وضعت خططي العملية على المائدة، يكون في امكاننا التحدث في شأنها كأناس عقلانيين.»

رد بصوت رقيق: «يا لها من فكرة حسنة.» وأدار رأسها

www.liilas.com

إليه وهو يتابع: «عندما تتحدثين معي، أنظري إلي، يا فينيتيا.»

والتقت عيناه بعينيها بقوة حبست منها الأنفاس حتى أنها لم تعد تقوى على الحراك. وعندما استطرد يقول بلطف على نحو ساخر: «استمري، فإن اهتمامي كله لك.» حاولت بكل جهدها أن تتخلص من ذلك الشعور المحرج. وقالت بسرعة في محاولة لاستجماع أفكارها المشوشة: «كنا، في الماضي، قد اشترينا كميات ضخمة، مستعملين مختلف أنواع الشحن، ولكنني وضعت خطة...» وسكتت فجأة وقد أخذت بالتعبير الذي بدا على ملامحه، فقد كان جفناه الثقيلان متهدلين، فوق تلك العينين السوداوين الرائعتين، بينما لاحت على شفتيه الصارمتين، ابتسامة صغيرة تلاعبت بمشاعرها.

وتابعت حديثها بمزيد من الحزم متجنبة عينيه مرة أخرى: «إنني أنوي الشراء من روسي تفضيلاً، ذلك أن الطلبات الكبرى تسمح بالتنزيلات في الأسعار مما يسمح لنا بتمرير ذلك إلى زبائننا فيكون في إمكاننا، عند ذاك، منافسة سلسلة المتاجر الكبرى. وهذا، أيضاً، يتماشى مع مصلحة روسي، وهكذا نضرب عصفورين بحجر واحد. فمبيعاتكم لنا ستزداد، وكذلك أنت ستزداد أرباحك إذا ازدادت أرباحنا وبصفتك شريكاً في شركة روس الانكليزية.»

«وهل يوافق كيرو على عرضك هذا؟»

وتساءلت صامتة، عما يعني ذكر سيمون أثناء مناقشة هذه المرحلة؟ فالتعامل سيكون بين شركتي روس

الانكليزية وروسي الدولية، وعند ذاك، إذا حصلت الموافقة على عرضها هذا، مبدئياً، فسيكون لدى الفريقين، المحاسبون والمحامون ليضعوا التفاصيل. أما سيمون، فستلقي إليه بالتعليمات ليغير من منهج مشترياته عندما يستقر كل شيء.

أجابت: «إنني لم أتحدث معه في هذا الشأن.» وكانت لهجتها فاترة وتمنت لو انها فعلت. ولكن هذه الفكرة طرأت على ذهنها بعد اقتراحه ذاك ببيع أملاكها، بعد تصفية إرثها، لانعاش الشركة برأسمال جديد هي في حاجة إليه، فهي تحترم آراء سيمون، كما كان أبوها يفعل، ثم تمعن فيها الفكر وتقلبها معه من كافة وجوهها قبل أن تتقدم بها رسمياً إلى شركة روسي الدولية. وكانت ستتحدث معه في ذلك عند الغداء هذا النهار، لو أمكنها ذلك، وها هي الآن قد أرغمت على إخبار كارلو بما كان يدور في ذهنها. ولكنه لا بد أن يوافق على هذا.

قال بلطف: «وهكذا كيرو مازال في الظل؟ فهمت.» قال ذلك وكأنها أجابت، بشكل ما، عن سؤال لم ينطق به. وتابع قائلاً: «على كل حال، ماذا لو لم أوافق أنا؟»

فسألته قائلة: «ولماذا لا توافق؟»

واكتسحت بأنظارها ملامحه القاسية الوسيمة، ولكن هذه الملامح انما قدت من حجر. وتابعت تقول: «إنني أسلم بذلك، فأنا لم أفكر في التفاصيل بعد، ولكن المبدأ هو بالتأكيد...»

فقاطعها قائلاً: «إن المبدأ الذي أعارضه بكل قوة هو ما يتعلق بنيتك في زيادة رأس المال الضروري. وقد سبق وشرحت لك السبب.»

واتكأ إلى الخلف في زاوية الأريكة وهو يمعن فيها النظر. وتوترت شفتا فينيتيا وهي تفكر في أنه يبدو مستعداً لسدّ الطريق أمام تحركاتها دون أن تعرف السبب.

وقالت بجفاء: «بصفتك الشريك الثاني في شركتنا، ورئيس شركة روسي، كنت اظنك ستسر لهذه الفكرة. على كل حال، فأنا لا أطلب منك أن ترفع رأس المال.»

قال بكسل وقد فترت نظراته: «وهو كذلك.» وأثار تلقيه غير المكترث لمشكلتها غضباً في نفسها لم تتمكن من السيطرة عليه، فأجابته بحدة: «ربما أمكنني أن أجد شركة أخرى أتعامل معها، حيث يبدو أنك تفضل الجلوس والتفرج على بقية الفروع وهي تنهار، وعلى الموظفين وهم يخسرون أعمالهم.»

أجاب: «إنك تسيئين الحكم عليّ.» كانت ابتسامته بطيئة، ولكنها أذكى من أن تحمل كلامه على محمل الجد.

قالت ساخرة وهي ترفع حاجبيها: «أهو كذلك؟» ورأت ابتسامته تزداد اتساعاً بحيث أصبح في امكانها أن تدير رؤوس كل نساء الأرض.

قال: «من الواضح أن نصيبي في شركتكم هو شيء ضئيل جداً في أمبراطوريتي. ولكن، كما لا بد وأنك تعلمين الآن، فأنا لا أتنازل عن شيء.» وأضاقت عيناه، ولا عن أحد، حتى أنت. وهزت فينيتيا رأسها لتتخلص مما توحيه إليها مخيلتها. وتابع هو: «على كل حال، فقد عرضت عليك خيارين، إذا كنت تذكرين. فهل يهمك سماعهما؟»

أجابت: «طبعاً.» وماذا يمكنها أن تقول غير ذلك؟ ونهضت لاذكاء نار المدفأة متخذة من ذلك ذريعة لتعود

www.liilas.com

فتجلس بعيدة عنه. وخطر لها، وهي تضع المزيد من الحطب في نار المدفأة، ربما وجد مخرجاً لهذه المشكلة لم تره هي، ويمكنها، على الأقل، أن تستمع إليه... فهي ليست مرغمة على الموافقة إذا لم تعجبها الفكرة.

قال: «أن نتزوج ثم ندمج شركتك بشركتي.»

واستقامت فينيتيا في وقفتها ببطء، وهي تنفض يديها، كانت ما تزال تدير ظهرها له راجية أن يزول الاحمرار الذي تصاعد إلى وجنتيها. لقد كانت منذ ست سنوات، على استعداد لبذل كل ما تملك في سبيل أن تسمع منه عرض الزواج هذا. ولكن، ها هي الآن ترى تلك المشاعر التي كانت قد ظنت أنها دفنت في الأعماق من ذاكرتها، تراها تعود متأججة إلى الحياة، فيصدمها هذا البعث العنيف غير المرغوب فيه. ومرت ثوان قبل أن تتمالك مشاعرها بما يكفي لأن تسأله ببرود: «وما هو الخيار الآخر؟ لعله أفضل من الأول؟»

وتمتم يقول: «أفضل؟ إن هذا يعتمد على وجهة نظرك.»

واستدارت هي تواجهه باذلة جهدها لإخفاء انفعالها إزاء عرضه المفاجىء هذا. وتابع يقول: «إذا كانت فكرة أن تكوني زوجتي هي بغيضة عليك، فلنأخذ إذن بالخيار الثاني، وهو أن شركتي ستتوقف عن التعامل معك، وستجدين نفسك محاصرة من أكثر المنافسين لتجارتكم إن لم يكن كلهم.»

فهمست فينيتيا وهي لا تكاد تصدق ما تسمع: «ليس في امكانك أن تفعل ذلك.»

لكنه أومأ برأسه ببطء وهو يجيب: «بل يمكنني. هل

تحبين أن تجربيني؟» واقشعر جسمها للنبرة الواثقة في صوته، وسمعته يقول وكأنه يتكلم من وراء حجاب: «يمكنك، بالطبع، أن تستمري في تجارتك، ولكن بثمن. فإن المال الذي ستمدين به الشركة، سرعان ما يتلاشى، وهذا سيضطرك إلى بيع كل ما يمكنك بيعه لتسندي البقية، وهكذا، مرة بعد أخرى، إلى أن تجدي أنه لم يبق لك سوى القليل الغث، وعند ذلك، أتقدم أنا لشراء ما تبقّى، هذا بعد أن تتوسلي إليّ أن أفعل. والخلاصة، يا عزيزتي، هي أنني سأميتك جوعاً.»

ومع أن كلامه هذا هزها من الأعماق، إلا أنها واجهته بأشد ما أمكنها من الصلابة. كانت تطل من عينيه ثقة بالغة، لقد كان يعني كل كلمة نطق بها، وهو سيسحقها دون أدنى وخزة ضمير، تماماً كما يسحق بقدمه حشرة. إما أن يحطمها، وإما أن يتزوجها. وبقي هناك، سؤال واحد وجهته إليه وهي تسدل أهدابها القاتمة تخفي بها الصدمة التي بدت في عينيها، فسألته: «لماذا؟»

وكان الصمت هو جوابه المباشر، كان صمتاً متوتراً إلى حد شعرت بالرجفة في أوصالها، وأوصلها إلى حافة الإنهيار. وأدركت أن الرجفة هذه لا بد قد ظهرت عليها، وعندما رد عليها بهدوء، قائلاً: «هذا شيء يختص بي أنا، وعليك أنت أن تكتشفيه.» رمقته بنظرة ذاهلة منفعلة ثم اتجهت نحو الباب لتخرج.

كان عليها أن تبتعد عنه، عن هذا الكابوس الجنوني. عليها أن تفكر في كل هذه الأمور. ولكنه نهض عن الأريكة بتثاقل مصطنع، ليسد عليها طريق الخروج.

www.liilas.com

وقفت لحظة لا تستطيع التفكير وقد تجمدت أنفاسها، ولكنها عندما شعرت بحرارة يديه على كتفيها، ابتدأت في المقاومة وذلك بضربه بقبضتيها وقدميها باستماتة. عند ذلك، تساءلت، في اعماقها عن السبب الذي يمنعها من أن تطلب مهلة للتفكير في عرض الزواج هذا، أو تهدده بتقديم شكوى رسمية ضده بدعوى الإبتزاز.

ولكن عرض الزواج المذل هذا قد أيقظ في نفسها مشاعر أصابها التشويه بشكل واسع أثناء دفنه طيلة تلك السنوات، ومقاومته كانت هي الطريقة الوحيدة التي تساعدها في مواجهة تلك المشاعر. إنه المسؤول عن ذلك وهو الذي يجب أن يعاقب. وبمنتهى الانفعال، رفعت قبضتيها لتضربه بكل ما أمكنها من قوة. وكانت تعلم في تلك اللحظة المجنونة، أنها لو أمكنها الأمر، لقتلته حتماً لكونه هو ذلك الرجل الذي أحبته والذي سبب لها من الألم ما يفوق كل احتمال، وهو على استعداد الآن ليكرر ذلك، مرة أخرى، دون أدنى تردد. وسمعته يشتم بصوت خافت، ثم قال من بين أسنانه بصوت كالفحيح: «تباً لهذا. كفي عن ذلك وإلا آذيت نفسك.»

فصرخت فيه: «دعني أذهب. إني أكرهك.» وبانت الوحشية في نظراتها وهي تتلوى تحاول تخليص نفسها والهرب منه، مستعملة لذلك قبضتيها وركبتيها ومرفقيها. ولكنه شدها إليه بيد، وأمسك شعرها بأخرى يبعد رأسها عنه مما أرغمها على أن تقابل عينيه الملتهبتين، وهو يقول بصوت خشن: «لقد قلت مرة انك تحبينني. والحب والكراهية يلتقيان في نقطة واحدة.»

وارتجفت وهي تعلم أن ليس لها القدرة على تحدي قوته.

لقد عادت الآن. عادت إلى حيث كانت على الدوام. وإلى ما كانت تشعر بوجوده، عادت إلى اللحظة التي أدركت فيها أن هذا الرجل هو الذي ستحبه طوال حياتها.

وعادت تقاوم من جديد، ولكن بصورة مختلفة هذه المرة. فهي الآن تقاوم في سبيل تحرير حبها له. وتمتم هو قائلاً بصوت أجش: «طالما حلمت بك... وبعواطفك المتدفقة تغمرينني. لقد حلمت بحبك، بترويضك...»

وتجمدت فينيتيا وهي تردد كلامه بصعوبة: «تريد أن تروضني؟ هل هذا كل شيء؟»

أجابها بصوت أجش: «ليس هذا كل شيء، أبداً. بكل تاكيد.» ونظر في وجهها بعينين غائمتين وهو يقول: «لقد كنت في الثامنة عشرة من عمرك عندما جعلتني أصبو إليك. تصوري انني لأول مرة في حياتي، أحترق شوقاً إلى شيء لا أستطيع الوصول إليه. فهل ثمة غرابة في أنني لم أعد استطيع السيطرة على نفسي؟ وفي انني أخذت أقوّم تلك التجربة الجديدة؟»

وعلى وهج نار المدفأة، رأت على شفتيه شبه ابتسامة أسى، وكادت أن تفتح فمها لتقول محتجة بأنها لم تكن أبداً صعبة بالنسبة إليه، ولكنه قال بلكنة هي الكثر وضوحاً من أي وقت آخر: «لقد كنت رجلاً ناضجاً صرعته فتاة لم تكد تخرج من صف المدرسة، تصورت نفسها أنها تحبني! وكان واضحاً أنها ما زالت مراهقة. وانها مزقت أيامي ولياليّ بالأحلام بها...» وسكت لحظة حانياً رأسه ثم تابع قائلاً: «إنني آسف، فانا لم أقصد التسرع، وأن اتصرف معك بلا أخلاق.» ثم تابع ببرود

www.liilas.com

جعلها تحبس أنفاسها، قائلاً: «هل فكرة أن تكوني زوجتي بغيضة عليك حقاً؟»

أجابت بسرعة وهي تقطب حاجبيها قليلاً: «كلا.» ثم استقر رأيها على قبول الخيار الذي أشار إليه ضمناً.

كانت تعلم أن عليها أن تكون حذرة. لقد كادت منذ لحظات، أن ترحب به كحبيب دونما أية فكرة في ذهنها. فقد ضاع المنطق والعقل منها أثر هذا الانقضاض العاطفي منه: وتمنت لو كانت تعرف ما كان يفكر فيه من ناحيتها. ولكنه، حتى منذ ست سنوات كان ماهراً في إخفاء مشاعره... هذا إذا كان صحيحاً ما أخبرها به منذ لحظات، وفي الوقت الذي تصرف فيه نحوها وكأنها مجرد صبية صغيرة تضايقه.

كان الصمت عميقاً لا يخترقه سوى حفيف ثيابها وخفقان قلبها.

وفجأة قال: «هل أفهم من ذلك أنك قبلت عرضي الزواج هذا؟»

جفلت ثم وقفت وقد بدا في عينيها الاضطراب وهي ترى التصميم في عينيه السوداوين، وأخذت تحاول تركيز تفكيرها. لقد كان هذا العرض مغرياً تماماً. مثل كارلو نفسه. وكانت تعلم أنه وجدها جذابة... إذ من غير المعقول أن يزيف مشاعره التي ظهرت منذ لحظات... ولكن، ماذا بالنسبة لحبها له، هل في امكانها أن تطمئن بهذا الشأن؟

وقالت له: «إن هذا الموضوع أهم من أن يتقرر بهذه السهولة. فامنحني وقتاً كافياً للتفكير.»

قال ساخراً: «أتريدين وقتاً لتقرري ما إذا كان نجاح

www.liilas.com

شركة أبيك، وضمان الاستقرار لكل موظفيها، يستحق منك التضحية بان تبقي مخلصة لرجل واحد بقية حياتك؟»

وأغمضت عينيها وهي تقاوم الرغبة في البكاء لفكرته هذه عنها، ولأن عرضه للزواج كان لهدفين. الأول هو استعادة شركتها ودمجها بشركته. والثاني الوفاء بوعده لأبيها.

عاد يقول: «كوني واثقة، يا فينيتيا، إنني بصفتي زوجك، أطلب منك الاخلاص الكامل إلى آخر لحظة من حياتك.» لقد كان واثقاً من نفسه تماماً، من قدرته على السيطرة عليها. وكان هناك الكثير من القول، والأسئلة، والكثير من الانطباعات الخاطئة نحوها والتي ينبغي تصحيحها.

www.liilas.com

لم تكن تعرف كيف تبدأ، كما أنها لم تكن متأكدة من أن الأمر يستحق هذا المجهود لأنه لن يشعر نحوها أبداً بالاحترام الذي تريده ولا بالحب الذي تستميت للحصول عليه. فهو لم يعرض عليها الزواج إلا لأنه يناسب خططه العملية، كما أنه يسمح له بالوفاء بوعده لأبيها.

وهزت رأسها دون وعي رافضة، في صمت، كل شيء. رافضة الاثنين العرضين، وها هو يقول بعنف: «لديك فرصة للتوصل إلى قرار، حتى الغد، فإذا كان هناك زفاف، فسأعلن ذلك في اجتماع المديرين الذي سينعقد في الصباح. فهذا سيهدىء من شائعات افلاس الشركة ويطمئن النفوس.»

ثم ذهب إلى غرفته.

ليـــــــــلاس
LoOoLa

الفصل السادس

وحدة... لم تشعر فينيتيا بمثل هذه الوحدة قط في حياتها من قبل. حتى ولا في غمرة صدمتها بوفاة أبيها.

نظرت في أنحاء المطبخ البالغ النظافة، وأرخت كتفيها. كانت قد ألقت بقايا الطعام، وغسلت كل الأطباق ولم يبق ما تفعله إلا إذا شاءت أن تجثو على يديها وركبتيها لتنظف الأرض التي سبق ونظفت من قبل.

كانت الساعة الواحدة صباحاً، ولكنها لم تستطع احتمال فكرة الذهاب إلى فراشها، لتستلقي مستيقظة تحدق في الظلام، مدركة كارلو ليس بعيداً عنها، وأنه نائم. فضميره لا يزعجه مثقال ذرة، وأن مستقبله غير ملبد بالمخاوف لأن في امكانه أن يتزوج من امرأة لا يكن لها حباً ولا احتراماً. إن زواجهما سيعيد الالتحام إلى الأسرة مرة أخرى، ويناسب خطط أعماله. وكذلك، دون شك، سيكون في امكانه أن يستمتع بها في أي وقت يريد إلى أن يدركه الملل منها...

هذا عدا عن الألم وتحطم القلب الذي سيسببه لها زواج كهذا، والشعور بأنها استخدمت لهدفين هما المتعة، وسير الأعمال. وليس في الأمر مشكلة بالنسبة إليه، إذ في امكانه تقبل مثل هذا الزواج، لأن مشاعره لن تمس بينما مشاعرها ستتمزق أشلاء لأنها مغرمة به.

ولكن، أي بديل لهذا، أمامها؟

أطبقت فمها بإحكام ثم صعدت إلى غرفتها خلال المنزل

www.liilas.com

الصامت. إن في امكانها، دائماً، أن تطرده، وتبقي على خطتها القديمة في محاولة حماية أعمالها، ومحاربته عندما ينفذ تهديده بتجويعها.

كانت تعلم أنها من القوة بحيث يمكنها محاربته على هذا المستوى مستعملة كل ما تملك من تصميم وجلد لكي تتشبث بكل شيء بشدة، إلى النهاية المرة، لكي تسلم، إذا استوجب الأمر، ببطء ضاربة قدمها في الأرض فتجعله، بذلك، لا يصل إلى النجاح إلا بصعوبة بالغة تسلبه لذة النجاح ذاك.

ولكن، هل لديها الحق في أن تغامر بوظائف العاملين في شركتها؟ وهل هي من القوة بحيث تحارب هذا العدو المخيف، وحدها؟

قد يحدثها عقلها بأن هذا الزواج من كارلو لن تكون نتيجته سوى تحطم قلبها إزاء حب غير متبادل، ومشاعر الألم والاحباط وهي تفكر ببعد المسافة بينهما عندما يخمد الحب ببرودة الملل والرتابة وعدم الاكتراث.

أخذت تذرع أرض غرفتها، وقد منعها القلق والاضطراب من التفكير في النوم. ان كارلو يريد الجواب في الصباح، ولن يكون في إمكانها تزويده به إن لم تتمالك نفسها وذهنها.

وأفلتت منها شتيمة بصوت عالٍ على غير عادتها، مما جعلها تشعر بنوع من الصدمة، إذ لم تتعود استعمال مثل هذه الكلمات غير المهنبة. ثم فتحت خزانتها فأخرجت معطفاً سميكاً، وزوجاً من القفازات، ووضعت قدميها في حذاء جلدي طويل، ربما إذا هي خرجت ساعة للسير في هذا الليل المتألق والهواء البارد، سيصفو رأسها بعد إذ لم تعد

تستطيع الوصول إلى قرار معقول، أو على الأقل، تتخلص من هذه الطاقة الزائدة فيمكنها، بعد ذلك، النوم قليلاً.

كان الثلج يتحطم تحت قدميها، بينما البدر يتألق فوق الرؤوس، متسللاً بين الغيوم مغرقاً تلك الحدائق بفتنته. ملأت رئتيها من الهواء البارد وقد وضعت يديها في جيبي معطفها، ثم اتجهت نحو حديقة المياه عبر المروج الخضراء المحيطة بها، ثم خرجت إلى الممرات التي تقود إلى الحقول. كانت قد أصبحت على بعد حوالى الميلين، وعليها أن تكون في المنزل بعد ساعة عسى أن تكون من التعب بحيث يمكنها أن تنام، بعد أن تكون وصلت إلى قرار.

ولكن، في الوقت الذي اتجهت فيه نحو المنزل، كانت تتمنى لو لم تكن قد خرجت منه. ذلك أنها، إلى جانب الإرهاق الذي عانته، فإنها لم تتوصل إلى قرار حاسم.

لقد كان خروجها في منتصف الليل إلى هذه النواحي التي يكسوها الجليد، شيئاً بالغ السخافة، وعادت من الطريق الذي جاءت منه، وهي تشعر بالإشمئزاز من نفسها، ودون اتخاذ أي حذر.

ولكن اعترافها ذاك بخطئها، لم ينفعها بشيء. فقد توقفت أنفاسها، وسرى الألم في وركها من جراء تعثرها. كما شعرت بالثلج يدخل في حذائها.

ومنعها ذلك الألم، والثلج في حذائها الطويل، من النهوض واستحالت تلك المناظر الفاتنة، في نظرها، إلى شؤم. وأصبحت ظلال الأشجار أشد ظلمة مما هي عليه، وكانت ترتجف من البرد، وتلوم نفسها على حماقتها،

عندما لاحت لها، مرة أخرى، معالم المنزل، كانت اكثر الأنوار مضاءة ولكنها كانت اكثر إرهاقاً وتعاسة وشعوراً بالبرد من أن تستطيع شيئاً اكثر من النظر إليها. ذلك أنها، لو كانت في كامل وعيها، لما ذهلت وهي تدفع الباب الرئيسي، وقد انتابها الإرهاق لرؤية كارلو يهبط السلم بسرعة وهو يحشر كتفيه في جاكتة صوفية.

توقف فجأة، عند رؤيتها، بينما انتابها نوع من الهلوسة، ذلك أن ما شاهدته من الارتياح البالغ في عينيه السوداوين لا يمكن أن يكون حقيقياً، وهو يقول بخشونة: «ما الذي ظننت أنك تقومين به، أيتها المرأة؟»

كان عليها أن تفكر في أن سؤاله هذا هو أمر بديهي، ولكنها كانت من الإرهاق والشعور بالقهر، وهي تراه أمامها بشكل غير متوقع مما منعها من أن تجيب بشيء. وقف ويداه على خاصرتيه، ينظر إليها بشماتة، لحظة طويلة وقد توقفت أنفاسه، إلى أن تنفس بعمق وهو يسير نحوها قائلاً: «لقد قلبت البيت رأساً على عقب أفتش عنك. وعندما لاحظت أن الباب لم يكن مقفلاً، نظرت إلى الخارج.» وشملها بنظرة ازدراء وهو يتابع: «لأرى آثار أقدام وكنت على وشك الخروج لأجرك عائداً بك.»

فهزت كتفيها، رغم الألم في كتفها الذي نتج عن سقوطها، كما هو الحال في وركها، وهي تقول: «لا حاجة بك لذلك، كما ترى.» ولم تتذكر إن كانت قد شعرت من قبل، بمثل هذا العجز والوهن ولكنها لم تكن تريد أن تشعره بذلك، ورفعت رأسها بكبرياء قائلة: «إنني لست في حاجة إلى حارس. وربما ستتذكر هذا في المستقبل.»

www.liilas.com

وفكرت باكتئاب، في أنه إذا كان المستقبل سيضمهما معاً، فإن ما بقي عندها من قوة حاولت مواجهته بها الآن، قد تبددت إزاء نظرة التقريع التي رمقها بها وهو يرفع حاجبيه ساخراً، لكنه قال لها برقة: «إن تأخر الوقت لا يسمح لنا بأية مناقشة، فاصعدي إلى غرفتك لكي تغيري ثيابك المبللة هذه، ثم آوي إلى فراشك، ريثما أحكم اغلاق منافذ المنزل.»

ونظرت إلى السلم بملامح متحجرة. لم تكن عدد الدرجات بهذه الكثرة من قبل. وانتابها الشك في إمكانها أن تصعد الدرجات هذه، بقدميها المتجمدتين من الصقيع. ولكنها، مع هذا حاولت ذلك. وسمعت صوته يقول فجأة، بخشونة: «هل أصابك ضرر؟»

فأجابت: «كلا.» كان عليها أن تكذب لأن الاعتراف بأن الألم يشمل جانبها الأيمن بأجمعه، وأن الصداع عندها يزداد لحظة بعد أخرى، وأن الصقيع مازال يزحف في عظامها، رغم التدفئة المركزية في المنزل، الاعتراف بهذا ستظهر معه معاناتها هذه، وربما يدفعها ذلك إلى زيادة تحقيرها لنفسها فتنفجر باكية لتستدير إليه طالبة المؤاساة التي لن يهتم بتقديمها إليها.

فقال: «لماذا إذن، تعرجين بهذا الشكل؟» وبدا صوته ضعيفاً مليئاً بالإنزعاج، ولكن ذراعيه لم تكونا ضعيفتين وهو يحملها صاعداً بها السلم دون أي جهد.

وأخيراً، حاولت فينيتيا أن تستجمع أشلاء شجاعتها، طالبة منه أن ينزلها، ولكنها ما لبثت أن كفت عن ذلك. فقد كان ذلك سيكلفها جهداً كبيراً.

www.liilas.com

قالت: «شكراً. يمكنني أن أتدبر أمري.» ولكنه رد عليها عابساً بقوله: «أقفلي فمك.» وأمكنه، أخيراً، ان يخلص قدميها من الحذاء بجهد وهو متجهم الوجه، ثم من جوربيها المبللين، ليأخذ، بعد ذلك منشفة يدعك بها قدميها المتجلدتين حتى أعاد إليهما الدورة الدموية.

قال لها وكأنها طفلة: «هذا سيجعلهما في حال أفضل وان آلمك.» وأعادت لهجته إليها شيئاً من ثقتها الضائعة بنفسها، إذ من الأفضل أن يراها طفلة تبكي في لحظة ألم عابرة، لتكون في مأمن، من أن يدرك أن قدرتها الدفاعية قد انهارت فلا تكون عند ذاك بمأمن منه ولا من نفسها.

وعندما انتهى من قدميها، وقف ثم انحنى فوقها يخلع عنها معطفها، محاولاً أن يفك الحزام واتسعت عيناها وهي تمد يديها بسرعة تبعده عنها قائلة: «يمكنني ان اتدبر أمري، فأنا لست عاجزة كلياً.»

فأجاب: «بل أنت كذلك، أو تكادين. فأنت لا تقوين على السير، فكيف بأن تدخلي الحوض وتخرجي منه دون مساعدة.»

أضاف: «حاذري من أن تتقيأي عليّ. ثم يجب أن لا تخجلي مع أنني لا أظنك تعرفين الخجل، أليس كذلك؟ ثم، لا داعي لأن تخافي مني فأنا لن اقترب منك.»

قالت بحدة: «إنك...» لشد ما أثار فيها من الاشمئزاز والغيظ. ولكن تعبير الكراهية الذي بدا على ملامحها، سرعان ما انتهى إلى صرخة ألم عندما حركت قدمها، وأصابتها موجة الألم بالدوار الذي محا من ذهنها كل شيء آخر وهي تميل عليه بضعف، بينما تنفس هو عميقاً وهو يسألها: «كيف حدث هذا؟»

كانت ثمة كدمات في الجلد، وقالت: «لقد سقطت من البوابة على جانبي الأيمن.»

وقال بجمود: «على الأقل، ليس ثمة كسور. هل في إمكانك أن تحركي أصابع قدميك؟» فأومأت برأسها مجيبة دون أن تستطيع الكلام.

ثم قالت له: «إنني بخير الآن.» كان من المريح جدا لها أن يبقى بجانبها.»

ثم سألها بصوت أجش: «ماذا كنت تفعلين في الخارج في مثل هذا الجو، وفي مثل هذا الوقت من الليل؟»

أجابت: «كنت أفكر.» لقد أصبحت من الإسترخاء بحيث أخذت تعتقد بأن لا شيء يحمل على الاهتمام. لا شيء مطلقاً.

وتابعت تقول: «إن المنزل يقيدني، فظننت أن السير والهواء النقي قد يصفيان ذهني لكي أتوصل إلى قرار.»

«وهل حدث ذلك؟ لقد كنت أظن أن قرار قبول الزواج مني من السهل التوصل إليه.»

لوت شفتيها برقة وهي تجيب: «يا لهذا التواضع.» وكان جسدها من الإسترخاء بحيث لم تهتم بالتعليق على هذا الغرور.

قالت ببساطة وهي تتساءل عما قد يكون جوابه: «لماذا لم تتزوج حتى الآن؟»

«لأنني، حتى الآن، لم أشعر بالحاجة إلى ذلك.»

وهل هو يشعر الآن بهذه الحاجة لأجل أعماله؟ أم وفاء بوعده لأبيها؟ إنها لا تعلم، وربما لن تعلم أبداً. بانت على شفتيه شبه ابتسامة وهو يقول: «اصعدي إلى غرفتك الآن، وسأوافيك بكوب حليب.»

وقبل أن يسمع جوابها، تركها وخرج تاركاً إياها تنظر في أثره متسعة العينين. لقد أدركت تماماً أنه، لأول مرة يشعر بالخوف من أن يفقد سيطرته على نفسه.

دخلت إلى غرفتها وغيرت ثيابها. لقد حزمت أمرها الآن. ذلك أن مشاعرها نحوه، والتي طالما كبحتها، خارجة بذلك عن طبيعتها، كل هذه قد عادت الآن بكل زخمها وعنفها، وهي ستتخذ القرار الأسهل لتخرج من وضعها العملي السيىء هذا، وهو أنها ستتوقف عن محاربة مشاعرها تلك. إنها تحبه. وهي ستتزوجه.

ربما غداً، وكل غدٍ بعده، سيجلب إليها الندم، اعترفت بذلك وهي تندس تحت الغطاء، ولكنها هذه الليلة، لن تفكر بذلك مطلقاً، ما عدا السماح لشيء ضئيل من الأمل في أنه من الممكن أن يتعلم، يوماً ما، أن يحبها، كما تحبه...

وعندما عاد، بعد دقائق، داخلاً من الباب بمرح، وقد أعاد ارتداء جاكتته الصوفية، حاملاً في يده كوباً من الحليب الساخن وضعه على منضدة السرير بجانبها، لم يكن مرحه ذاك بقادر على اخفاء خطوط متوترة حول عينيه. كانت فينيتيا تعلم أنها قد أحبته دائماً وستحبه أبداً.

وقالت بصوت اكثر خشونة من العادة: «انني سأتزوجك يا كارلو. وذلك في أي وقت يناسبك.» وشعرت بقوة هاتين العينين اللتين لا يسبر غورهما، لتغرق فيهما، وتندت عيناها بالدموع وهو يرفع إحدى يديها ليضع شفتيه على راحتها قائلاً ببساطة بينما كثافة اهدابه تخفي تعبير عينيه: «إنني اعدك بأنك لن تندمي على قرارك هذا أبداً. يا فينيتيا.»

www.liilas.com

كاد أن يخرج من الغرفة، ولكن غريزتها اخبرتها أن عليها ألاّ تسمح له بذلك الآن. وحاولت أن تكتشف السبب الذي جعلها تشعر بأهمية إبقائه إلى جانبها، ولوقت قصير فقط. ولكنها ما لبثت أن عرفت... كيف حدث ونسيت هذا الأمر؟ ولكن، أتراها ستحسن الكلام؟ لا بد أن يكون هذا. وقالت: «إن سيمون ليس حبيبي...»

كانت تريد أن تقول اكثر من هذا التغير رأيه الذي كوّنه منذ ست سنوات. ولكنه قاطعها قائلاً بعدم اهتمام تقريباً: «هذا غير مهم. لقد انتهى ذلك. إنه الماضي.» ثم تابع بعد قليل: «لم يبق لنا سوى وقت قصير للنوم... فلنستفد منه. أليس كذلك؟»

هذا جيد، لأنه، عندما يتزوجان في النهاية، سيكون لديه البرهان التام على أن سيمون ليس حبيبها، كلا، ولا أي رجل آخر. وبعد ذلك لن يعتقد أبداً أنها إمرأة دون مبدأ ولا أخلاق.

ليـــــــلاس
LoOoLa

www.liilas.com

الفصل السابع

استيقظت ببطء شاعرة بالإسترخاء التام وهي تتكور تحت الغطاء الدافىء، ثم تذكرت، فجأة أنها، وكارلو، سيتزوجان. والحلم الذي حلمت به منذ ست سنوات قد تحقق الآن. وهي تشعر بسعادة طبيعية لأي انسان في وضعها، ولكنها لن تفكر في هذه النقطة.

كان كوب الحليب الذي أحضره لها، قد أصبح بارداً. ألقت نظرة على ساعتها، إنها التاسعة والنصف. إنه سيعلن عن خطبتها دون أن تضطر هي لأن تتكلف عناء الحضور وسيعود قبل أن تحس بغيابه.

وتدحرجت لتغادر السرير وهي تتثاءب، مصممة على حضور اجتماع المدراء، أو على الأقل، قسم منه. وهكذا ارتدت ثيابها بسرعة والتي كانت عبارة عن طقم رمادي فوقه جاكتة صوفية رائعة الحياكة.

كانت كل ملابسها أقل مما تقتضيه المناسبة. وصممت وهي تنتعل حذاء أسود منخفض الكعب، على أنها عندما يتزوجان، ستعود وترتدي بعض ملابسها القديمة المزخرفة الطراز، إذ لم تعد هناك حاجة إلى ارتداء الألوان الداكنة.

ولكن التفكير في انها ستكون زوجة لكارلو، جعلها تتوقف عن الحركة، وعندما نظرت حالمة، في المرآة، لم تر منظرها العملي أبداً، فقد كان جسمها وحركاتها لا تكاد تخفي أحاسيس البهجة التي تملكتها، وصممت على أن

تبذل أي شيء في سبيل أن ينجح هذا الزواج، وهي لن تتوقف عن ذلك حتى يجد نفسه غارقاً في حبها.

وبعد عشر دقائق، كانت تحاول أن تقود السيارة بثبات على الطرق الفرعية الزلقة. كانت هذه الطرقات ماتزال تحفل بأخطار الثلوج رغم حرارة الجو. ربما كان من الحماقة أن تخرج من سريرها الدافىء، ولكن الشركة ما زالت شركتها هي، حتى ولو كانت ستدمج بشركة روسي في المستقبل، هذا إلى أنها كانت تريد أن تكون إلى جانب كارلو عندما يعلن خطبتهما.

وعندما أصبحت في الطريق الرئيسي، أصبحت القيادة أسهل، مما جعلها تزيد سرعة السيارة. إذ لن يكون لائقاً إن هي وصلت متأخرة لتجد الاجتماع منتهياً، وقد أصبح كارلو في الطريق عائداً إليها.

كان المكتب الرئيسي في مدينة كامدن في شمال العاصمة. وكان الشارع المحاط بالأشجار هادئاً. وكان في استطاعتها أن تسمع قرقعة القطارات على الخط الرئيسي إلى ميدلاند وسكوتلاند خلف مباني فيكتوريان عندما خرجت من موقف السيارات وهي تصلح من تجاعيد تنورتها.

لم يكن هذا الجزء من لندن مكاناً عصرياً ولكن إيقاف السيارات كان سهلاً نوعاً ما، كما أن المنازل قد حوّلت إلى مكاتب وافية بالغرض. وخلال السنوات الماضية كان هذا المكان قد أصبح منزلها الثاني، ذلك أنها أمضت هنا من الساعات أكثر مما أمضت في منزلها في الريف.

وما أن دخلت فينيتيا من الباب وهي تخلع قفازيها، حتى نظرت إليها موظفة الاستعلامات من خلف مجموعة

الهواتف على المكتب. وغمرت الدهشة وجه المرأة المتوسطة العمر التي نهضت واقفة وهي تقول: «إننا لم نتوقع رؤيتك هذا النهار نظراً إلى حالة الجو وغير ذلك. فالطرقات لا بد أن تكون مريعة في منطقتكم وحول الغابات. كيف حالك على كل حال؟ لم أجد فرصة للتحدث إليك في الجنازة، وكذلك كثيرون... ولكن...»

فقاطعتها فينيتيا برقة: «إنني بخير.» كانت جويس إمرأة طيبة، ولكن ثرثرتها كانت مضرب المثل. فإذا وجدت موضوعاً تتحدث فيه، فإنها لا تنتهي منه، ولم تكن فينيتيا على استعداد لسماع ذلك. فقد كانت في طريقها إلى التكيف مع الواقع ومع نفسها وعلى طريقتها الخاصة بالنسبة إلى صدمتها المفاجئة بفقيدها. وسألت: «هل انتهى الاجتماع؟»

هزت جويس رأسها قائلة: «لم ينته بعد. تقول الشائعات إننا سنصبح تابعين لشركة روسي. هل هذا صحيح؟»

أجابت فينيتيا: «نعم، صحيح.» لم يكن ثمة ضير في قول الحقيقة. ذلك أنه حالما ينتهي الاجتماع، فإن كل انسان سيعلم بالأمر. وابتسمت فجأة بابتهاج. فزواجها بكارلو ذو فائدة إضافية، وسيستقر مستقبل شركة روس الانكليزية.

وقالت لموظفة الاستعلامات وهي تتجه نحو السلم: «سأشترك في إنهاء الاجتماع.» ولكن الموظفة نادتها من خلفها قائلة: «إنهم يستخدمون مكتبك لأنه الأوسع بين المكاتب... لا تدعي السيد روسي يسلبك كل ما عملت أنت وأبوك لأجله. إنني أعرف أنه شخص صعب المراس. ويكفيك أن تنظري إليه لتعلمي أنه الرابح في النهاية.»

ردت عليها فينيتيا، محتفظة بسرها، قائلة: «صدقيني

http://www.liilas.com

www.liilas.com

أنني سأكون حذرة.» لم يكن ذلك يعني أن زواجها من كارلو سيبقى سراً مدة طويلة. ولا بد أنه قد أعلنه. وسيعلم به كل شخص في المبنى قريباً، وسيشعرون بالارتياح الذي شعرت هي به عندما اطمأنت إلى استقرار مستقبل الشركة في انضمامها إلى شركة روسي الدولية والتي هي جزء من العائلة، ليلتحم، بذلك الشرخ الذي طال أمده.

وعندما اتجهت نحو المكتب كانت ماتزال تبتسم، وما أن وصلت إلى هناك تقريباً، حتى فتح الباب وخرج منه سيمون وهو يترنح، صافقاً الباب وراءه. ونسيت هي فشلها في الالتحاق بنهاية الاجتماع عندما نظر إليها سيمون قائلاً: «هل علمت أنه يريد أن يطردني من العمل؟ هل علمت؟»

وأمسك بذراعها بوحشية وقد شحب وجهه. فردت عليه بحدة: «ما الذي تقوله؟ ومن يريد أن يطردك من العمل؟»

فأجاب: «ذلك الإيطالي اللعين، ومن غيره؟ ألم تعلمي؟»

فهزت رأسها عابسة وهي تقول: «كلا.» وتساءلت هل معنى هذا أن كارلو قد استلم الأمور بهذا العنف؟ ولم يعجبها ذلك، خصوصاً وهو يعطي لنفسه الحق في طرد أي من موظفيها دون أن يهتم باستشارتها ولو من باب الكياسة. وسألته: «وما هو السبب الذي قدمه لهذا؟»

كانت متجهمة الوجه، ولكنه أمسك بيدها يجذبها، وهو يقول: «لا يمكنني أن أتكلم عن ذلك هنا، فإن الجميع سيخرجون بعد لحظات، دعينا نذهب إلى الغداء لننفرد بأنفسنا. إنه لا يستطيع أن يطردني دون موافقتك.»

وجاء صوت كارلو من عند الباب بارداً كالثلج: «إنه يستطيع، وقد فعل. أخل مكتبك، يا سيمون.»

تجمدت فينيتيا، وتناهت إلى مسامعها، من خلال الباب، همهمة الرجال في الداخل. ورأت السكرتيرة تخرج وفي يدها دفتر الملاحظات، وقد اتسعت عيناها فضولاً وهي تقف خلف ظهر كارلو العريض.

كانت يدها ما تزال في يد سيمون، فسحبتها من يده، إنما متأخرة. وارتجفت قليلاً وهي ترى كيف ضاقت عينا كارلو وتوتر فمه وهو يلاحظ حركتها هذه.

وهتف غوردون مانينغ، سكرتير الشركة الذي كان أول الخارجين قائلاً: «آه... فينيتيا...» ووضع يده على كتفها، استحساناً، وهو يقول وقد لمعت عيناه بحنان الأبوة: «تهاني لقد سررنا جميعاً عندما علمنا بزواجك القادم. والدك كان سيسر حتماً لو رأى عودة اللحمة بين الأسرتين تحدث بمثل هذه الطريقة السارة.»

كانت تعلم أن هذه هي الحقيقة، ورأت ذلك وهي تتقبل تهاني الآخرين جميعاً. فقد كان والدها في غاية البهجة عندما ظهر كارلو منذ سنوات، كما كانت زيارته نفسها بمثابة غصن الزيتون. وكانت تعرف أنه بقي على اتصال بالفرع الإيطالي للشركة وذلك بواسطة الاتصال الهاتفي بكارلو. مع أنها لم تعرف قط، ماذا قيل بين الرجلين. فقد أعلنت بوضوح، عندما أراد أن يقص عليها فحوى هذه المكالمات، أنها غير مهتمة بأي شيء يتعلق بكارلو وبما يقوله. وكان هذا نوعاً من الدفاع. فقد كانت تحاول أن تنتزعه من قلبها ومن عقلها... ولم تكن تريد ما يذكرها به.

لا بد أن تجاوبها ذاك كان في محله، كما أدركت الآن،

www.liilas.com

وكانت، وكارلو، وحيدين في الممر، عندما قال لها عابساً: «لقد طلبت منك البقاء في المنزل.»

فأجابت شاردة الذهن: «هذا صحيح. ولكن الطرق لم تكن رديئة تماماً. على كل حال، ما هذا كله عن طرد سيمون؟»

فقال: «هل يؤلمك هذا؟»

فأجابت باستياء: «إنه أذهلني.» لقد أخذت، مرة أخرى، ترتاب في تحركاته، وساورها الأسف لهذا الشعور. فهي تحبه ولا تريد أن تفكر في أنه يمتلك صفات سيئة. وتنهدت بارتياح حين أمسك بيدها، متجهاً بها إلى مكتبها الخالي وهو يقول: «عندما تسمعين إيضاحاتي حول هذا الموضوع، فأنا متأكد من أنك ستوافقين على أنه لم يكن أمامي خيار آخر.» وجلس على حافة مكتبها قائلاً: «لعلك تساءلت، فأنا كنت، على الدوام، احتفظ بعين يقظة على ما أملكه في شركة روس الانكليزية ومنذ فترة قريبة، بدأت أدرك أن الأمور ليست سائرة كما ينبغي في دائرة المشتريات. وابتدأت في التحقيق لأكتشف أن صديقك سيمون كان يملأ جيوبه على حساب أموال الشركة، إذ كان يقبض رشوة من بعض الموردين عديمي الضمير وذلك لكي تدفع لهم الشركة أسعاراً أعلى من قيمة الأسعار المعروفة. وهذا، في اعتباري يسمى سرقة.»

فقالت فينيتيا وقد بانت عليها الصدمة: «لا يمكنني تصديق ذلك. فقد خدم الشركة بكل جهد، أولاً كناشب لأبي، ثم لي بعد ذلك. وكان لائقاً في أسفاره العملية بشكل ما. لا بد أن هناك خطأ ما في الأمر.»

فقال كارلو وهو يحدق في ملامحها الذاهلة، وقد بدا في

لهجته شيء من الشفقة: «ليس ثمة خطأ أبداً. ليس من السهل قبول الخيانة، أليس كذلك؟ ولكن، صدقيني، فإن عندي كل البراهين التي تثبت ذلك. إن أباك كان يعلم ذلك لأنني حذرته منه. ولكن، للأسف لم يعش لكي يقوم بما يلزم عمله.»

فقالت: «ولماذا لم تأت إليّ ببراهينك تلك تطلعني عليها؟ كان يجب أن أعلم هذا وأن استشار.» كانت ما تزال غير قادرة على أن توافق على هذا، لأن سيمون، رغم ذلك التصرف المقيت الذي سبق وصدر عنه فيما مضى، قد أثبت جدارته كصديق ومستشار ناصح وزميل في العمل. وكانت مستعدة لضمان نزاهته واستقامته، بينما كان كل الوقت... استناداً إلى قول كارلو، يعيش حياة مرفهة على حساب الشركة.

وسألته عابسة: «ولماذا أنا كنت آخر من يعلم؟»

فأجاب وهو يضع أصبعه على شفتيها: «هس... كانت صدمتك بوفاة أبيك المفاجئة، كافية بالنسبة إليك. إنني مسرور لحضورك، وقد كنت فكرت في الاتصال بك هاتفياً ولكن هذا أفضل. لسوء الحظ، استدعيت إلى المكتب الرئيسي في روما، بصورة عاجلة وذلك منذ ساعة تقريباً وليس في امكاني تجنب السفر ولا أظن في استطاعتي العودة إليك قبل أسبوع.»

وهتفت: «أوه... كلا» قبل نصف ساعة، بدا لها وكأن كل شيء على ما يرام، بعد أن وافقت على الزواج من رجل لم يعلم بعد، أن عليه أن يتعلم أن يحبها. وها هو، وبكل هدوء، يرحل بعيداً لأن العمل عنده يأتي أولاً. هذا بالإضافة إلى ما عرفته الآن أن الموظف الذي كانت تثقها به دون حدود، تبين أنه لص.

www.liilas.com

لم تكن هي من الغباء بحيث تعتقد أن في امكانها أن تثنيه عن عزمه في الذهاب لإنجاز أعماله، وقالت بحدة لكبر مما كانت تقصد، وقد لوت فمها استياء: «هل أنت متأكد تماماً من صحة ما قلته بالنسبة إلى سيمون؟ ألا يمكن أن يكون شيئاً من الغيرة جعلك تخطىء في حساباتك؟»

وقال: «أهذا هو رأيك في مدى نزاهتي؟» ورفعت رأسها لترى شحوب وجهه من الغضب. ونظر إليها بازدراء، قائلاً: «أما زال يعني لك كثيراً بحيث تريدين مساندته مهما كان نوع عمله؟»

قالت شبه هامسة: «إنني آسفة. لم اكن اقصد أن تفهم الأمر بهذه الطريقة.» كانت تشعر بخيبة مرة لرحيله، مفضلاً العمل عليها، ومحتفظاً بهذه الفكرة. وشعرت بالتعاسة وهي تفكر بهذا.

«إذن، أخبريني كيف كان من المفروض أن أفهم دفاعك هذا عنه؟» وكأنما ندم على انفجاره هذا فيها، فاستطرد يقول بلهجة اكثر اعتدالاً: «إنك لم تمدحيني بكلامك ذاك.»

وهزت كتفيها بأسى. كيف يمكنها أن تشرح مشاعرها المضطربة دون أن تفضح مدى حبها له؟ وكيف أن ذلك الأسبوع الذي سيغيبه عنها، سيبدو لها دهراً؟ إن علاقتهما لم تكن مهيأة بعد للاعتراف. فقد يشعره هذا بالحرج، أو يزيد في نفسه التسلية. ولم تعرف أيهما الأسوأ، ثم تمتمت وفي كلامها شيء من الحقيقة: «ليس في امكاني تجاوز الصدمة، إذ أسمع أن شخصاً كنت أضع فيه ملء الثقة، يغدر بي بهذا الشكل.»

فقال: «يمكنني تصور ذلك. على كل حال، فإنني لا أريد

أن أضيع الوقت القليل الذي بقي لنا في الحديث عن سيمون الغالي. عليك أن تصلي إلى صيغة مناسبة لمواجهة تعامله المزدوج هذا، بطريقتك الخاصة، ثم تتوصلين إلى قرار معقول. وهذا آخر ما أريد سماعه في هذا الموضوع.»

وتناول معطفه الفاخر من على المشجب، ثم وضعه على كتفيه واسبغ هذا على منظره المزيد من الوقار وكأنه قادم من عالم آخر. لم يبد لها قط من قبل بمثل هذه السمرة والغرابة. قال: «سنذهب لتناول الغداء. فما زال أمامنا وقت كاف قبل أن يحين موعد ذهابي إلى المطار.» ومد لها يده فأمسكتها بسعادة.

بدت عليه رغبة قوية في أن يضع ذكر سيمون وقضيته وراء ظهرهما. وكذلك كانت هي. وتمنت لو حاولت اقناعه بحقيقة علاقتها بذلك الرجل، اكثر مما فعلت، ولكن هذا الوقت لم يكن مناسبا على الاطلاق لبحث موضوع كهذا. فقد أعلن بحزم أنه لا يريد أن يسمع اسم سيمون بعد الآن، بل أنه ربما فسر محاولتها ايضاح الأمر، بأنها مجرد محاولة منها للتنصل من هذا الرجل الذي تلوث اسمه بمثل هذه الأعمال.

وهكذا ستترك هذا الأمر، وكلها ثقة من أنه، عاجلاً أم آجلاً، سيدرك الحقيقة بنفسه. وقد تأجل هذا الأمر الآن. وحاولت ألاّ تظهر أمامه ما يعتمل في أعماقها من كآبة وغم، بينما كانت تبكي في داخلها.

مرت الساعة التي أمضتها معه، أسرع مما تصورت. واعترفت لنفسها وهما يتناولان الطعام الشهي في المطعم، بأنها لا تحتمل فراقه هذا، وكان هذا المطعم الصغير الخاص القائم في إحدى زوايا لندن غير المعروفة، من

www.liilas.com

الاكتشافات المحببة التي سبق واكتشفتها مع أبيها منذ عامين. وقد سرت الآن، بشكل خاص، لمعرفتها به الذي وفر على كارلو الوقت بدلاً من الذهاب إلى قلب المدينة.

وقال: «عندنا الكثير لنتحدث فيه ولكن ليس لدينا الوقت الكافي.» وابتسمت لها عيناه السوداوان بينما ابتعد النادل ليحضر لهما الطعام. وعضت فينيتيا على شفتها السفلى بأسنانها، ثم ابتسم لها تلك الابتسامة التي أدارت رأسها والتي جعلتها تعتقد بأنها ربما تعني له شيئاً، وشيئاً غير عادي لا يمت بصلة إلى مجرد الاستبداد، وحاجة رجل أعمال إلى أن يكمل عملاً لم ينته بعد.

وتشابكت أعينهما وهو يقول: «وهكذا، نأتي إلى المهم. سنتزوج في غضون ثلاثة أسابيع. وأظن ان احتفالاً بسيطاً هو الأفضل باعتبار فجيعتك الحديثة بوالدك. أليس كذلك؟» ودون أن يترك فرصة الادلاء برأيها، استطرد قائلاً: «يمكنك ان تتركي كل شيء لي. وكل ما عليك أن تفعليه، هو أن تختاري ثوب زفاف جميلاً، ثم تحزمي أمتعتك لرحلة شهل العسل والذي هو، بهذه المناسبة...» ومال إلى الخلف بعد إذ وصل النادل يحضر الطعام، بينما عيناه لم تبارحا وجهها وهو يتابع: «سنمضيه في بيتي في سردينيا.»

ضاقت عيناها المنغوليتا الجمال وهي تعبس فجأة. التقط كارلو شوكته وهو يرفع حاجبيه متسائلاً: «هل لديك اعتراض؟ وهل تفضلين مكاناً آخر؟»

أجابت: «كلا. كلا بالطبع.» وترددت قليلاً ثم تابعت تقول: «كل ما في الأمر هو أنني لا أعرف عنك سوى القليل، لم أعرف ان لك منزلاً في سردينيا. هذا كل شيء.»

والتقطت شوكتها، هي أيضاً. ثم ابتدأت تأكل، وقد أدهشها فجأة، بغموضه. ثم هذه البحة العميقة في صوته عادت تدهشها مرة أخرى، حاملة عينيها على ملاقاة عينيه وهو يقول: «إن حياتي كتاب مفتوح. وما عليك إلا أن تسأليني لتسمعي مني كل شيء. على كل حال... أظن أن من دواعي سرورنا ان يكتشف كل منا الآخر.»

كانت كلماته هذه، ولهجته تعيد إلى ذاكرتها صوراً جعلت الدم يصعد إلى وجنتيها. وهذا ما كان، دون شك، هدفه من حديثه ذاك. وبينما أخذت تحاول تمالك مشاعرها، قال: «لا تقلقي بالنسبة إلى العمل، فكل شيء سيكون على ما يرام... وإياك أن تفكري ببيع المنزل. إذ أننا سنمضي فترة في كل عام في انكلترا وسيكون مركزاً ملائماً لنا. وإذا كان القلق يتملكك لتركه خالياً مدداً طويلة، لماذا لا تبقين على بوتي لتحفظه في غيابنا؟ واكثر من ذلك... لقد سبق واخبرتني أن بوتي تشعر بالمسؤولية تجاه أختها، أليس كذلك؟ وأنها تشعر بالذنب لعدم تمكنها من رؤيتها بشكل كاف كما هو الحال الآن. فلماذا لا نحول غرفتين خلف المنزل، إلى سكن تنتقل إليه شقيقتها آندي؟ إننا، بهذا، نصيب عصفورين بحجر واحد، إذ نزود بوتي بوظيفة، ونجعل للمنزل من يقيم فيه، ثم نوقف آندي عن التذمر لما تتصوره من الاهمال نحوها. فكري في هذا.»

أجابت: «سأفعل ذلك.» إنها ستفعل ذلك إنما ليس الآن.

سألته: «هل ستفتقدني؟» لامت نفسها لهذا الحنين الذي بدا في صوتها، ولتلك الإشارة الفاضحة في لهجتها والتي قد تكشف له عن شعورها نحوه. ولامت نفسها مجدداً وهي

www.liilas.com

تلمح تألق البهجة في عينيه وهو يومىء بالإيجاب مؤكداً ذلك بصوت هو بمثل رقة ابتسامته ما جعلها تعتقد، للحظة، أنه يعني هذا حقاً.

وظلت تعتقد ذلك إلى أن أفسدت كل شيء عندما عاد النادل ليرفع الأطباق، فابتسمت له مخاطبة إياه باسمه. فقطب كارلو جبينه وهو يقول ببرود: «يبدو أنك معتادة على الحضور إلى هنا. وأظن أن هذا هو (المكان المعتاد) الذي اعتدت وسيمون، على تناول الغداء فيه في اجتماعاتكما. من المؤسف انني، حتى هذه اللحظة، كنت في منتهى الاستمتاع.»

وما أن فتحت فمها لتتذكر انها سبق وجاءت إلى هذا المكان مع سيمون وإنما مع أبيها فقط، أسكتها قائلاً: «لا تدعينا نجعل من هذا الأمر موضوعاً للجدل. إنني على أتم الاستعداد لنسيان حتى وجود هذا الحقير في هذا العالم إذا أنت فعلت الشيء نفسه. سيكون لك مستقبل فقط دون ماضٍ، والآن، عليك أن تعذريني.»

دفع بنفسه بعيداً عن المائدة، ثم أشار بإحضار الفاتورة إلى النادل الذي كان، دون وعي منه، سبباً للخلاف، واندفعت فينيتيا تقول: «هكذا إذن؟ فأنت تعتنق فكرة حمقاء ولا تريد أن تتخلص منها. حسناً، إنني آسفة لأجلك.» وكانت وجنتاها متوهجتين وهي تلتقط قفازيها وحقيبة يدها، بينما كانت تنظر إليه عبر المائدة بنقمة. ليس ثمة حاجة لافساد هذه السويعات الهادئة الرقيقة لمجرد كلمة في غير محلها. فهل سيكون المستقبل معه عذاباً بهذا الشكل؟ وتوترت شفتاها وشحب وجهها وعيناها تلتقيان بعينيه،

وهي تستطرد قائلة: «بما أننا مازلنا في أول الطريق فأحب أن أخبرك أنك لن تتزوج مخلوقة دون ماضٍ، كما اظنك قلت، ودون عقل مفكر، وإنما مستقبل فقط يرقص على ألحانك التي تتغير في كل لحظة.» وارتجف صوتها، فسكتت لحظة تمالكت فيها نفسها، ثم سارت أمامه إلى الرصيف لتعود فتستدير إليه قائلة وقد شحب وجهها: «إن عندي شيئاً من الكرامة. ولهذا لا أرى أنني استطيع ان اتعامل مع مستقبل يجمعنا من النوع الذي تفكر فيه.»

فنظر إليها بملامح لا تعبر عن شيء وهو يجيب: «بل ستتعاملين معه بشكل رائع. وأنا أعرف تماماً ما هو نوع زوجتي المستقبلة.» وأمسك بذراعها يعيدها بقوة نحو المكتب، بينما هي محبوسة الأنفاس لا تجد جواباً وهو يستطرد قائلاً ببرود: «وإذا كان في استطاعتي أنا التعامل مع هذا، فهو في استطاعتك أنت أيضاً.»

www.liilas.com

ليـــــــلاس
LoOoLa

الفصل الثامن

جاءت مكالمة كارلو الهاتفية بينما كانت فينيتيا تستعد للنوم، وسرعان ما اكتسح فرح سماعها صوته، تلك الكآبة التي كانت تكتنفها وهي تفكر في ان تدير ظهرها لهذا الزواج. وعندما وصلت وروده في الصباح التالي، ادركت أن عليها ان تواجه الحقيقة، وهي انها ستبقى، على الدوام، طيبة القلب سهلة الارضاء بالنسبة اليه.

لم تكن تستطيع الصبر على غيابه، ومما كان مكتوباً على البطاقة المرفقة بالزهور، أدركت انه يشعر بنفس الشيء، هو ايضاً، ولكن، كان عليها ان تجد ما تملأ به وقتها لكي تشغل ذهنها عن غيابه.

عندما جاءت بوتي اخيراً إلى المنزل، كانت في غاية السعادة لسماعها خبر زواج فينيتيا، وزادت سعادتها حين سمعت قرار احضار اختها إلى المنزل للسكن معها.

وسألتها فينيتيا قائلة: «هل ستمانع اختك في التخلي عن منزلها واستقلالها للقدوم إلى هنا؟»

أجابت: «يسرها ان تتخلص من تلك المسؤولية. واذا كانت هنا، فلن اشعر بعد ذلك، بالذنب اذا لم اذهب لزيارتها عندما يكون علي ذلك. لأنني، عندما حبستني الثلوج عندها في البيت، كاد يصيبني الجنون، فهي، على الأقل، ستكون سعيدة اذا انا صعدت لرؤيتها لمدة عشر دقائق، عشر مرات في اليوم، هذا إذا جاءت لتقيم هنا. وماذا سترتدين في

www.liilas.com

حفلة زفافك؟ ان هذا هو أهم شيء في الوقت الحاضر، اعرف انه سيكون احتفالاً خاصاً، وليس ثمة شيء يمنعني من أن اكون موجودة.»

مدت فينيتيا ذراعها تحتضن المرأة المسنة وهي تقول: «وهل يعقل ان اتزوج دون ان تكوني موجودة؟ فأنت أمي الثانية فلا تنسي هذا أبداً.»

قالت بوتي مازحة: «إذن، فقد اتفقنا.» ثم جلستا في المطبخ تتناولان فنجاناً من الشاي وتتحدثان في الأمر.

اختفى الثلج بنفس السرعة التي أقبل بها تقريباً، ليستحيل الشتاء ربيعاً بين ليلة وضحاها، وقررت فينيتيا لكي تبقي ذهنها مشغولاً عن التفكير في كارلو، ان تشغل نفسها في تمضية النهار في لندن حيث تزور محلات هارودز لشراء ثيابها، وذلك في فترة اعادة التنظيم في الشركة.

كان الحديث عن طرد سيمون على ألسنة المستخدمين، ولكن فينيتيا رفضت ان تنساق معهم في الحديث عن هذا الموضوع. فقد كانت خيانته ما زالت تؤلمها، انها لم تستطع ان تتصور كيف امكنه خداعهما بهذا الشكل، وخاصة أباها الذي كان دوماً يكن له الاحترام والتقدير.

وكان وصول روبرتو تورينو، محامي شركة كارلو، قد شغلها معه ومع محامي الشركة في اجتماع خاص، يبحثون في التفاصيل النهائية للاندماج القادم، حيث ختمته برفض دعوة السيد تورينو إلى العشاء بكل ما امكنها من ظرف.

كان اليوم طويلاً ناجحاً ولكنه مرهق. لقد مضى على غياب كارلو اربعة أيام، وكل ما كانت تريده، هو الذهاب إلى

فراشها باكراً لتحلم به. وعندما يأتي الصباح، سيكون امامها ان تقضي ثلاثة ايام اخرى قبل ان تراه.

كانت بوتي تمضي فرصتها الأسبوعية في نادي القرية، وكان الوقت ليلاً والمنزل هادئاً. عندما جلست فينيتيا تقرأ ملاحظة تركتها مديرة المنزل لها على المنضدة في القاعة. وفيها ان ثمة اناء يحتوي على اللحم في الفرن، وكانت لا تستسيغ هذا النوع من الطعام. ولما كان كارلو بعيداً، فقد شعرت بتوتر في اعصابها، ما جعلها غير واثقة منه، وكذلك غير واثقة من مستقبلها معه، وما قد يسببه ذلك لها من الم.

ولكن، ربما سيتصل بها مرة أخرى هذه الليلة. كان سماعها لصوته الدافىء ينعشها على الدوام، ويجعلها اكثر ثقة في المستقبل. فهو لم يتصل بها ليلة امس، وربما هذا ما جعلها تشعر وكأنها تسير على الجمر.

لقد عاد إلى مركزه الرئيسي في ايطاليا استجابة لاجتماع عاجل، ويقوم باكبر قدر ممكن من الأعمال، لكي يكون عنده، بعد ذلك، الفراغ الكافي لقضاء شهر العسل في سردينيا حيث العمل هو آخر شيء ينبغي لهما التفكير فيه، لهذا، ليس من الغريب ألاّ يتمكن من الاتصال بها هاتفياً كل ليلة. كانت تفكر في كل هذا وهي في طريقها صاعدة إلى غرفتها لتغير ثيابها وتغتسل.

وبعد نصف ساعة، عادت فنزلت إلى الطابق الأسفل بعد أن اغتسلت وارتدت رداء منزلياً مريحاً فيروزي اللون كانت تريد أن تسترخي في غرفة الجلوس الصغيرة امام نار المدفأة وفي يدها سندويتش ثم تشاهد التلفزيون.

وفي غرفة الجلوس الدافئة هذه، اثارت المصباحين

الموضوعين على المنضدة، ثم اطفأت النور الرئيسي، وجعلها تراقص اللهب، والضوء المنير من المصباحين على الجدار المغطى بخشب السنديان، تشعر بحزن يغمر نفسها، وباكتئاب مفاجىء احدث في حلقها غصة.

كانت هذه الغرفة من بين كل غرف المنزل الرائعة الجمال، هي الغرفة المفضلة لها ولأبيها. ولطالما امضيا معاً ساعات استرخاء طويلة ممتعة يلعبان فيها الشطرنج ويستمعان إلى الموسيقى او يتحدثان ببساطة. خيل إليها انه يبتسم لها من كرسيه القديم ذاك بجانب المدفأة، ان يطلب منها ان تحدثه عما حدث معها اثناء النهار.

عندما سمعت صوت جرس الباب، ساورها شعور بالارتياح. ان رؤية اي كان كفيلة بأن يزيل هذا الشعور المؤلم بالوحدة.

فتحت الباب الرئيسي، فوجدت كارلو واقفاً على العتبة. وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وهي تنظر بغباء لحظة، وقد توقفت انفاسها، وقد انتابتها بهجة عارمة.

قال: «هاي! هل سأبقى هكذا واقفاً على العتبة؟»

أجابت باسمة وقد بدت في عينيها نظرة ماكرة: «كلا.» لقد اختفت المرأة العاقلة المتزنة التي طالما روضت نفسها على ان تكونها، دون أن تعير ذلك اي اهتمام! لقد عادت اليها طبيعتها مرة اخرى، ووجدت لذلك متعة كبيرة، وتابعت تقول: «لم تتصل بي هاتفياً ليلة امس. لقد ظننتك نسيتني... آه، يا كارلو، لا تتصور كم اشتقت اليك.»

«انني لن انساك ابداً، ثقي بهذا.» وغمر الدفء قلبها واول شعاع حقيقي من الأمل في أن يدخل حبها قلبه، يغمر نفسها، وسألته: «متى عدت إلى انكلترا؟»

www.liilas.com

«منذ حوالي الساعة والنصف، وقد جئت مباشرة من المطار.»

وقالت تلومه برقة: «كان عليك ان تخبرني مسبقاً بحضورك اذ ربما لم اكن موجودة؟»

أجاب متمتماً: «عليك ان تكوني دائماً موجودة عندما اريدك، وأنا لا أطلب أقل من ذلك.»

وعاد يقول بعد لحظات: «هل سنحتفل بلقائنا هذا، على العتبة، يا عزيزتي؟ اظنك تشعرين بالبرد.»

فأجابت: «آسفة.» وجذبته من يده إلى الداخل، من الظلام إلى النور ورأت ثمة ضوء سيارة قادمة نحو المنزل.

كان الوقت مايزال مبكراً لعودة بوتي، الا اذا كانت تشعر بوعكة. وشعرت بالخوف لهذه الفكرة، ولهذا، عندما خرج سيمون من السيارة، شعرت بالارتياح.

وسمعت كارلو يتفوه بشيء باللغة الايطالية، لعله شتيمة، وهو يدخل القاعة.

ولكن ارتياح فينيتيا لكون مخاوفها من أن تعود بوتي مريضة إلى المنزل، منعها من أن تلقي إلى انسحاب كارلو عابساً، إلى الداخل، اكثر من تقطيب حاجبيها.

وفكرت في أنه، بطبيعة الحال، لن يكون مسروراً بحضور أحدهم، خاصة سيمون، بعد أن فعل فعلته ضد الشركة التي كانت تدفع له أعلى أجر، لسنوات كثيرة.

ومع هذا، فان التهذيب جعلها تتقدم إلى الأمام لتقف تحت دائرة الضوء، لتسأله بكياسة عفوية تخفي الانزعاج والكراهية: «ماذا يمكنني ان افعله لأجلك، يا سيمون؟»

ولم تكن تتوقع ان ترى منظره بتلك الخطوط المرتسمة على وجهه الشاحب والتي لم تعهدها من قبل، ولا في الطريقة

التي قال فيها بفظاظة: «انك تعرفين جيداً ماذا يمكنك ان تقومي به لأجلي، يا فيني؟» ثم قفز الدرجات ليدخل من الباب ثم يصفق الباب وراءه بعنف.

عند ذلك فقط، تكلم كارلو قائلاً: «أمامك خمس ثوان تبسط خلالها، قضيتك، يا كيرو. خمس ثوان بينك وبين المقاضاة القانونية بدلاً من ان تخرج طرداً على الفور.»

لم يكن في صوته اية شفقة، لا شيء سوى التصميم البارد الحازم، وارتجفت فينيتيا وهي تشعر بالأسف لأجل هذا الشاب، لأنه فعلاً يستحق كل ما فعله كارلو به.

وشعرت بسيمون يجاهد في تمالك نفسه ليستطيع الوقوف على الأرض المهتزة تحت قدميه. فهو اذا حاول ان يتحدى كارلو، فانه سيتسبب لنفسه بالعقاب.

ولم تشأ فينيتيا ان تسمح بهذا. فقد كان عليها ان تهدىء من الأمور بشكل ما. وهكذا، وجهت كلامها إلى سيمون قائلة بصوت بارد كالثلج: «سيمون، ايمكنك ان تعرض ما جئت لأجله، في خمس دقائق؟» وازاء ايماءته المختصرة التفت إلى كارلو بنظرة استرضاء، ولكنه رد عليها بنظرة شرسة ليساورها شعور بأنها اقترفت غلطة فاحشة.

وفكرت، وهي ترى خطيبها يدير ظهره مبتعداً نحو المطبخ، انها ستوضح له الأمر فيما بعد، وذلك بأن تجنبه مواجهة عنيفة، وهو شيء لا بد أن يحدث اذا طرد هو سيمون دون أن يسمح له بالافصاح عن الغرض من قدومه. وتوضح، أيضاً، بأنها تصرفت كما لو كان والدها مكانها، وذلك بأن تحاول أن تعرف لماذا يقرر موظف مهم مثله، ان يخدعهم... هكذا بشكل مفاجىء...

www.liilas.com

وعادت تقول وهي تسير امام سيمون متجهة نحو غرفة المكتبة: «خمس دقائق. وإذا كنت قد أقبلت لتطلب اعادتك إلى عملك، فهذا الأمر لا يتعلق بي. وأنت، بذلك، تضيع وقتك. فنحن، كما تعلم، سنندمج مع شركة روسي مما يسلبني استقلالي في الحكم. وبجانب هذا...» وجلست على كرسي والدها وراء المكتب وهي تشير اليه بالجلوس على كرسي اصغر إلى جانبها، قائلة: «كما انه ليس لك الحق في ذلك، بالنسبة لما اقترفته بحق الشركة. لقد كنت دائماً اعتقد انه يمكن الوثوق بك.»

فنظر سيمون اليها بنفاد صبر وقد احمر وجهه، ثم أجاب بحدة: «انك لم تفهمي، حقاً انني اخذت بعض الرشاوى البسيطة، ولكنني اعتبرتها جزءاً من العمل الذي اقوم به، ويمكنك ان تعتبريها اكرامية. كما أن انجي مسرفة جداً.»

فقالت بجفاء: «لم يمض على زواجك وقت طويل، فلا تلق بكل اللوم على زوجتك، هذا إلى انها تكسب من مهنتها ما فيه الكفاية لتنفق على نفسها بمثل هذا السخاء.»

وابتدأت تشعر بانه ما كان لها أن تسمح له بتجاوز عتبة الباب. فقد اعترف صراحة، بانه أخطأ في حق الشركة. وهو ليس من الغباء بحيث يعتبر ان عمله ذاك هو مجرد اكرامية. وكونه وضع اللوم على زوجته، فتح عينيها إلى ناحية سيئة من اخلاقه. الناحية التي نسيتها خلال السنوات الماضية، من تأثير تزلفه اليها.

ولكن سيمون هز رأسه وهو يكرر: «انك لم تفهميني، فان ما اكسبه انا وما تكسبه انجي تنفقه هي بأجمعه، ومهما كان مقداره فهو غير كاف.» ووقف وقد بدا عليه القلق، وأخذ

يذرع الغرفة، واضعاً يديه في جيبي بنطاله، وقد رفع كتفيه متوتراً، وهو يتابع قائلاً: «انني سأطلقها. ما كان لي أن اتزوجها مطلقاً. ولا أدري كيف حدث هذا. لقد دمرت مهنتي باكملها... فما الذي ستفعله بالنسبة لهذا؟»

وكان يقلد، وهو يقول هذا، كلامها بقسوة وهو يتابع قائلاً: «ولا حاجة بي للقول إن كلامها هذا كان مجرد وهم، او كذب محض. كانت تريد رجلاً يزودها بكل ما تريد او تظن ان لها الحق فيه. وهكذا اوقعتني في فخ الزواج.»

فقالت فانينتيا بجمود وهي تقف: «إنني آسفة.» لقد كانت تلك مشكلاته الخاصة وهي ليست مبرراً لعدم أمانته هذه، مطلقاً. وربما انه كان يأخذ الرشاوى منذ سنوات وقبل ان يتعرف إلى زوجته. وعندما فكرت في مبلغ ثقة أبيها به، اشتعلت غضباً.

يبدو أن سيمون اساء فهم سبب غضبها هذا، فأمسك بكتفيها وهي تسير نحو الباب، وأدارها نحوه قائلاً: «لا تغضبي، فقد كان زواجي غلطة كبيرة. انك المرأة الوحيدة التي احببتها. وأنا لا اريد العودة إلى وظيفتي، وليس هذا هو السبب في قدومي. فأنا لن اشتغل عند كارلو روسي ولو دفع لي الذهب واللآلىء.»

قالت له ببرود: «دعني اخرج، من فضلك.»

قال: «انك لا تعنين هذا، وأنت تعلمين ذلك.» وأخذ يهمس في اذنها قائلاً: «كلانا معجب بالآخر منذ سنوات، ولكنك كنت مراهقة وقد استعجلتك انا اذ كنت تبدين مستعدة للحب. وقد نسيت مبلغ صغر سنك حتى انذرتني بافقادي وظيفتي. اتتذكرين؟ وهكذا تراجعت، ولكن اعجابي بك لم يتوقف قط.»

www.liilas.com

وشعرت نحوه بالاشمئزاز، وأخذت تضربه على صدره بعنف دون فائدة، ولم تكن مقاومة قوته المتفوقة لتجدي، كما رأت.

وإذا هي رفعت صوتها بالصراخ، مستنجدة بكارلو، فسيهرع هذا لنجدتها، ولكن، ماذا سيكون الثمن؟ ولكن الأهم من ذلك أن هذا الوضع ربما سيقوي من اعتقاده في انها، وسيمون، كانا حبيبين من قبل لسنوات، فهو الآن انما يريد ان يسترد حقه، وأنها المسؤولة عما حدث والذنب في ذلك ذنبها.

كان عليها ان تتخلص من هذا الوضع بشكل ما، فلوت رأسها بعيداً عنه لتقول له: «هذا لن يفيدنا بشيء، انني لا اريد ان اقاومك، فلماذا اذن لا تخبرني بسبب قدومك، اذا لم يكن هذا لأجل استرداد عملك؟ انني مستمعة اليك.»

كان قلبها يخفق بشدة وهي تشعر بالغثيان والاشمئزاز البالغ، ولكن يظهر ان كلماتها المهدئة قد أدت إلى نتيجة، اذ تراخت قبضته عليها نوعاً ما، وهو يقول: «انني اعلم انك لا تريدين ان تقاوميني، يا فيني... انما لا يمكنك ان تستغفليني. اتنكرين؟ من هو الذي لجأت اليه عندما اردت ان تطلعي على شؤون العمل كافة؟ ومن هو الذي وقف بجانبك عندما توفي والدك؟ ولكن، هنالك موضوع... انني لم اوضح لك ما أريد. اسمعي، لقد سبق واخبرتك انني اريد ان اطلق زوجتي. تزوجيني يا فيني... انسي روسي، انني أعرف السبب في موافقتك على الزواج به... فأنت تريدين الاستقرار لمستقبل الشركة. وقد كان ذلك واضحاً حين أعلن قرار خطوبتكما، حسناً، اتركي الشركة. ما الذي يجعلك تضحين بنفسك بهذا الشكل؟»

انشغلت فينيتيا بالتفكير في ما قاله، هل ضمن كارلو، فعلاً، باعلانه خطوبتهما في ذلك الاجتماع، ان زواجهما إنما هو لمصلحة الشركة وليس لأي غرض آخر؟ حتى وإن كانت تلك هي الحقيقة، فقد آلمها ان يظهر ذلك للملأ. والأسوأ من ذلك ان هذا اعطى سيمون المبرر لاقتراحه الكريه هذا.

وتملصت بحذر، من يديه، لتشعر بالارتياح عندما سمح لها بالرجوع خطوة إلى الوراء، ولكنه كان يقول بكلمات سريعة لا تكاد تسمع: «بيعي اسهمك في الشركة لروسي، فهذا كل ما يهمه أمره، ثم اتركي الشركة. تخلصي من هذا الضريح الفخم، وسنذهب معاً، أنا وأنت فقط. فكري في هذا... انك لن تندمي ابداً على هذا القرار، انه وعد مني.»

وبالكاد سمعت ما يقوله، اذ كانت تفكر في طريقة تمكنها من ان تجعله يخرج بهدوء دون ضجة تجعل كارلو يهرع اليهما. عندما وصل صوت من عتبة الباب يشق حرارة ذلك الجو كحد السيف، يقول ببرود: «ثمة وعد مني انا أيضاً، فأنا اضمن لك، يا كيرو، انك اذا لم تخرج الآن حالاً، فان الشيء الوحيد الذي ستراه في الشهور الستة القادمة هو داخل القسم في المستشفى.»

منذ متى كان واقفاً يستمع؟ وكم سمع من حديثهما؟

وتجمدت فينيتيا في مكانها وكذلك الدم في عروقها، واستدارت ببطء. ولم يتحرك كارلو، لأنه لم يكن في حاجة لذلك. فقد كان تهديده فعالاً... كان شيئاً لا يمكن ان يتجاهله رجل عاقل، كما ان سيمون لم يكن مجنوناً تماماً، رغم رأيها فيه وهي تستمع إلى اقتراحه ذاك، ذلك انه لم ينطق بكلمة

www.liilas.com

وانما اندفع خارجاً من الغرفة مبتعداً عن عيني ذلك الايطالي السوداوين الصوانيتين.

وساد بعد ذلك، صمت عميق، وبللت فينيتيا شفتيها بلسانها، وهي لا تجد ما تقوله. فاذا هي اخذت تدافع عن نفسها، متعثرة بالكلام، فان كارلو سيعلم ان شيئاً قد حدث. فهو ليس متأكداً من براءتها ابداً ليعتبرها فوق الشكوك.

كل هذا يعتمد على مقدار ما سمع من كلامها، وكيف فسر اندفاع سيمون ذاك، ولكنها تنفست بارتياح عندما تقدم كارلو إلى وسط الغرفة، وهو يقول بصوت عادي تماماً: «لقد تجاوز الخمس دقائق التي منحتها انت له. وأنا متأكد تماماً من انك لا تريدين تمديد اجتماعك الأخير معه.» وتقدم ليقف وراء مكتب ابيها و اصابعه تعبث بالأوراق التي فوقه، قائلاً: «افهم من هذا ان ما قاله لك كان محرجاً؟»

وصعقت، وجفت شفتاها خوفاً وهي تردد بصوت خشن: «محرجاً؟» وتساءلت أنه سمع ذلك السخف الذي قاله سيمون.. وعما اذا كان عليها ان تبدأ بالدفاع عن نفسها، وتدلي بأعذار واهية تقوي شكوكه فيها.

ولكن كارلو قال ببساطة: «وماذا غير ذلك يمكنك ان تشعري به وأنت تتحدثين إلى رجل اثبت انه افضل قليلاً من أي لص عادي؟ والأسوأ من ذلك خداعه لك، وقبل ذلك لأبيك.» وسرت فينيتيا لهذا التفسير الواضح، وافترت شفتاها عن ابتسامة ارتياح: «تماماً» ثم، ولأنها لم تشأ أن تتحدث عن سيمون اكثر من ذلك، او حتى تفكر فيه، مشت نحو كارلو ناظرة اليه بعينين دافئتين وهي تقول: «هيا بنا إلى غرفة الجلوس حيث يمكننا ان نأكل، فقد تركت لنا بوتي بعض الطعام.»

قال بلطف: «لا أظن ذلك. فقد صنعت لنفسي قهوة اثناء انتظاري توديعك لكيرو.»

كان صوته رقيقاً ليناً كالحرير، ولكن عينيه كانتا باردتين كالثلج. وارتجفت فينيتيا برغمها، وهي تعض على شفتها بقوة بينما كان هو يقول بابتسامة مهذبة: «لم يكن لدي وقت لأخبرك، بانني قررت ان من الأفضل ان احجز غرفة في الفندق إلى أن يحين موعد الزفاف. وسنتعشى معاً غداً، اذ ان ثمة تدابير عدة يجب ان نتحدث فيها.»

«هل عنيت الزفاف أم دمج الشركتين؟»

يمكث في فندق... هذا شيء مؤلم. ذلك انه، في الوقت الذي ظنت فيه ان الصلة بينهما توشك على الالتحام، اذا به يتراجع دون ان تدرك السبب.

من الواضح انه لم يحضر إلى الغرفة في الوقت الذي كانت تحاول فيه الافلات من قبضة سيمون، كما انه لم يسمع ذلك الهراء الذي كان ينطق به، والا لعلمت بذلك!

اذن، فلا يمكن ان يكون هذا هو سبب تراجعه الجاف، واذا كانت كلماتها قد عبرت عن شكوكها، متضمنة شيئاً من المرارة، فما كان في استطاعتها منع ذلك. وبينما كان الضيق البالغ يتملكها لابتعاده عنها، قال لها بصوت رقيق: «عنيت زفافنا طبعاً، نامي جيداً يا زهرتي واحلمي بي.»

www.liilas.com

ليــــلاس
LoOoLa

الفصل التاسع

مرت الأسابيع الثلاثة الأخيرة كالحلم. وشعرت فينيتيا أنها غير حيّة على الاطلاق، فقد غطت الذكريات التي أخذت تجترها واقعها الحالي.

حتى عريسها بدا أمامها وكأنه خيال من تصوراتها أكثر منه مخلوقاً من لحم ودم. ورمقته بنظرة باسمة بينما كانت طائرة روسي تستعد للهبوط في مطار الغيرو. وكان البحر الأبيض المتوسط يموج فوق الشواطيء البيضاء في شمال سردينيا.

بدا وجهه شاحباً وفمه متجهماً. وقد ظفرت، بالكاد، بابتسامة صغيرة منه منذ عقد قرانهما وأصبحا زوجاً وزوجة في احتفال هادىء وذلك منذ ساعات قلائل.

ولكنها وجدت له عذراً لذلك في أنه أرهق نفسه، وذلك بالإصرار على زيارة كل فرع من شركة روس البريطانية المنتشرة في أنحاء بريطانيا، فهي لم تكد تراه أثناء الأسابيع التي سبقت الزفاف، مع أنه كان يتصل بها هاتفياً كل ليلة.

وارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها وهي ترمق بعينيها الكحيلتين، قامة زوجها الرائعة.

لقد أدركت الآن السبب في ارتمائها في أحضان العمل مكرسة له كل اهتمامها دون أن تخرج مع الشبان، ونادراً ما كانت تحضر المناسبات الاجتماعية. لقد كانت في عالم

النسيان. ذلك أن قلبها ونفسها كانا رهن الرجل الوحيد الذي ليس في امكانها أن تحب سواه. وقالت بصوت خشن: «كم تبلغ المسافة إلى الفيلا؟ وكم تأخذ من الوقت؟»

أجابها كارلو: «إنها على بعد حوالى عشرين دقيقة بالسيارة. وسيكون لويجي في انتظارنا بالسيارة.»

كان كارلو مشغولاً بدس أوراق في حقيبته اليدوية. فقد بدا مشغولاً بالأوراق هذه أثناء مدة الطيران. وقد استولى عليها النوم أثناء الرحلة، حوالي ساعة بعد أن غمرها الإرهاق حيث أن عينيها لم تعرفا النوم طيلة الليلة الماضية، فقد كان عقلها مشغولاً بالتفكير في يومها الآتي... يوم عرسها، وكان هو يتابع قائلاً: «وبعد ذلك يمكنك ان ترتاحي.» وكان في هذه الأثناء يقفل حقيبته بعنف ويفك حزام مقعده بعد أن حطت الطائرة. واستطرد قائلاً: «وستوصلك روزا إلى غرفتك، ثم تحضر إليك صينية الشاي. وبعد ذلك ترتاحين ساعة قبل أن يحين موعد العشاء.»

«روزا؟» واستدارت إليه عيناها متسائلتين، ولكنه لم يكن ينظر إليها، وكان تألق ابتسامته موجهاً نحو المضيفة الجميلة التي أخذت تساعدهما على النزول من الطائرة. وأمسكت فينيتيا لسانها عن الكلام، فالوقت لم يكن مناسباً لكي تسأله لماذا ليس هو من سيوصلها إلى غرفتها.

في بريطانيا، كان قد أوضح لها، وهما في طريقهما إلى المطار، أن روزا ولويجي يرعيان الفيلا التي تمضي فيها الأسرة إجازاتها. وهما من مواطني الجزيرة ويكنان لهم ولاءً عميقاً، وهي، فينيتيا، ستجد عندها كل مساعدة تطلبها لأنها زوجته، بالرغم من صعوبة اللغة بينهما.

www.liilas.com

وأثارت هذا الموضوع الآن بعد أن ابتعدا عن المطار في طريقهما إلى الفيلا، وذلك بقولها: «إن عليّ أن أتعلم هذه اللغة. أليس كذلك؟» وألقت ابتسامة ناحية لويجي. كان هذا رجلاً قصيراً قوياً ممتلىء الجسم وفي منتصف العمر، قدم إليهما تحية حارة غير مفهومة. وكانت عيناه البنيتان تطرفان بالسلاسة والنفس المرحة. وبجانبها كان كارلو جالساً وهو يهز كتفيه قائلاً: «إذا كنت تريدين ذلك حقاً.»

أجابت فينيتيا: «طبعاً أريد. فالإيطالية لغة اسلافي رغم كل شيء، وعندما أقابل أفراد اسرتك سيكون من السهل عليّ التخاطب معهم.» وكانت لهجتها، وهي تقول ذلك، مشوبة بشيء من السخرية ما جعلها تتساءل عما حدث لها، فقد كانت، وكارلو، في بداية شهر العسل فلماذا ردت عليه بهذا الشكل، بينما جوابه لها كان مناسباً تماماً لتعليقها.

«اسلافك؟ لقد كانت أمك انكليزية.»

فقالت تصحح كلامه: «إنها، في الحقيقة، من منطقة وايلز.»

أجاب برقة: «ولكن أسرتي التي ستتعرفين عليها عندما نعود إلى بلدنا، كل أفرادها يتكلمون لغتك. وبالنسبة إلى روزا ولويجي، فإنهما يتكلمان اللهجة الكاتالانية، ذلك ان مواطني سردينيا متعصبون للغتهم القومية المختلفة عن تلك. وعلى كل حال... فهم جميعاً يتكلمون الايطالية بشكل يدعو إلى الاعجاب. وقد تقبل روزا أن تعلمك شيئاً منها.»

كانت هزة كتفيه الخفيفة، والطريقة التي أدار بها رأسه ليحدق من النافذة بجانبه جعلتها تفهم أنه لم يكن ليهمه ذلك. وكان لالتواء فمها باستياء أن يخبره، لو أنه كان ينظر

إليهما، أن رغبته في الإلقاء بها على عاتق روزا لم تكن بالضبط ما تصورته عن شهر عسلهما.

وأدارت رأسها لتحدق من النافذة هي أيضاً، ولكن عينيها المغرورقتين بالدمع لم تسمحا لها بأن ترى أياً من المناظر على الاطلاق. لقد كان بعيداً عن التصرف كزوج محب تواق إلى ابتداء حياتهما الزوجية التي ابتدأت منذ نصف نهار فقط، فقد كان يتصرف وكأنها تسبب له الملل.

إنه يسبب لها الإضطراب والشعور بالتعاسة والتوتر، وهذا محض جنون! وعضت بشدة على شفتها وهي تكبح آهة كادت تفلت منها، ولكن كان عليها أن تتمالك نفسها أمام لويجي الذي كان يوقف السيارة أمام فيلا كارلو.

وأمكنها بشكل ما أن تتصرف بشكل طبيعي حتى أنها ابتسمت للسائق الذي استدار ليفتح لها الباب.

كان المنزل نائياً عن العمران، ولكنه رائع الجمال، كان بقعة مناسبة تماماً لقضاء شهر العسل. ولكن شهر عسلها ليس كما كانت تتوقعه أن يكون. لقد راودتها هذه التأملات بينما كان كارلو يضع يده تحت مرفقها دافعاً إياها إلى الأمام تاركاً لويجي يتصرف بالأمتعة.

ودفعها شعور غبي إلى أن ترفع عينيها إليه متكلفة الابتسام وهي تقول: «إنني حتماً، سأحب هذا المكان. فهو رائع، كما أن الهواء رقيق دافىء. كم هذا جميل.»

فالتقت عيناه بعينيها بنظرة فارغة مختصرة وهو يقول: «هذا صحيح. ربما هذا افضل اوقات السنة. إذ أن الحر يشتد في اواسط الصيف، وتزدحم المدن. والمعتادون على الجو الانكليزي مثلك...»

www.liilas.com

وخبطت فينيتيا قدمها في الأرض قائلة بحدة: «هل علينا أن نمضي الوقت بالحديث السخيف عن الجو؟» إنها لم تفهم سبب كل هذا، ولماذا ينأى عنها بهذا الشكل المقيت، وكل ما تعرفه أن تصرفه هذا يؤلمها بشكل لا يحتمل. وتابعت تقول: «ألا تظن أنه ما زال مبكراً، بالنسبة إلى حياتنا الزوجية، أن يقتصر حديثنا على مثل هذه الملاحظات التافهة؟»

فأجاب: «لقد ظننت خطأ، أن هذا قد يهمك.» وانفرجت ملامحه بشيء من المرح، وذلك للحظة واحدة، ما جعلت فينيتيا تنظر إليه بريبة، بينما كانت يده تشتد على ذراعها وهو يدفعها إلى الأمام بعد أن وصل إليها لويجي وهو يحمل حقائبهما، وهكذا لم يكن الوقت مناسباً للانخراط في شجار، ليس لأنها كانت تريد أن تتشاجر معه، فقد كانت بعيدة عن هذا، ولكنها كانت تريده أن يخبرها كم يحبها.

لا بد أن المرأة القصيرة البدينة الجسم التي جاءت لاستقبالهما، هي روزا. لقد كان وجهها يشرق بالابتسام، وكانت خصلات من شعرها الأبيض قد أفلتت من الشريط الذي شدت به شعرها. وحياها كارلو بابتسامة تنضح عطفاً ودفئاً وهو يجري التعارف بينهما. تلك التعارف الذي جدد عزم فينيتيا على أن تتعلم لغة زوجها. ولكن تأملاتها تلك ما لبثت أن تبددت عندما قال لها كارلو بلطف: «لقد أخبرت روزا أن تأخذك إلى غرفتك ثم تحضر إليك الشاي... على الطريقة الانكليزية، فأنا متأكد من انك تريدين فرصة ترتاحين فيها من عناء السفر، وسأراك فيما بعد. أما العشاء فموعده في التاسعة والنصف.»

www.liilas.com

واستدارت بسرعة رافعة أنظارها إليه غير خجلى من التوسل الصامت في عينيها، ولكن سرعتها لم تكن كافية لأنه كان قد سبق وتركها موسعاً خطاه عائداً نحو الباب واضعاً يديه في جيبي بنطاله الأنيق التفصيل وقد بدا في غاية الارتياح. لقد نسي تماماً حتى أنها موجودة.

أرادت أن تصرخ به. أن تذكره بأنها عروس تزوجت هذا الصباح فقط، وأن تتوسل إليه بأن لا يتركها، ولكن كرامتها لم تسمح لها بذلك. وتبعت روزا ونعلا حذائها، يحدثان صوتاً منخفضاً موحشاً على البلاط الأخضر.

ومع أن الفيلا كانت عبارة عن طابق واحد، إلا أنها كانت فسيحة رحبة تحوي ممرات عديدة وأروقة مختلفة. وعندما وقفت روزا لتفتح أحد تلك الأبواب، أدركت فينيتيا أنها لن تعثر أبداً على طريق العودة إلى القاعة الكبرى مرة أخرى. وانتابها الانفعال حتى نسيت ان تبتسم لتلك المرأة التي تركتها وعادت أدراجها.

تنهدت فينيتيا ان عليها أن تتمالك أعصابها حقاً وإلا فإن روزا ستظن أنها امرأة فظة شرسة. وعاد إليها ذلك الشعور بعدم حقيقة ما يجري حولها، والذي لم يكن له علاقة بهذه الفيلا الواسعة، وإنما بذلك الجدار الذي قام بينها وبين كارلو.

إنه جدار ستحاول هدمه بشرط ألاّ يكون من جملة تخيلاتها وكانت هذه الأفكار تراودها وهي تجيل أنظارها في الغرفة الفاخرة مطيلة التحديق في السرير الواسع.

وخلعت حذاءها لتغوص بقدميها في السجاد السميك، وهي تعترف لنفسها بأنها، منذ التقت به للمرة الثانية، قد

عادت إلى شخصيتها الحساسة القديمة التي كانت لها وهي في الثامنة عشرة من عمرها. ومهما كان الأمر، فإن عليها أن تتحلى بشيء من الصبر.

استيقظت فينيتيا ببطء، وهي تعود إلى وعيها شيئاً فشيئاً. كانت ترقد واضعة يدها تحت خدها. ورغم أن عينيها كانتا ما زالتا مغمضتين، فقد أدركت أن الغرفة مظلمة. ومدت يدها إلى المصباح القائم بجانب السرير، ثم أضاءته.

ووقعت عيناها حالاً على الثوب الذي كانت أخرجته لترتديه على العشاء هذا المساء، والذي كانت علقته على ضلفة باب الخزانة المفتوحة.

وانزلت ساقيها من السرير، ثم تناولت «الروب» وأدركت الآن، فقط، ما الذي أيقظها من النوم. فقد انقطع فجأة صوت «دوش» الماء المتدفق في الحمام المجاور المتصل بغرفتها هذه، ليسود بعدها صمت ثقيل. لقد عاد كارلو. لا بد أنه كان غائباً عدة ساعات. وارتدت «الروب» الحريري الأزرق، ثم ربطت حزامه حول خصرها النحيف بيدين ابتدأتا ترتجفان كما أخذت أنفاسها تتسارع.

توجهت نحو الباب المؤدي إلى الحمام وهي تهدىء من مشاعرها. وقفت على العتبة لتجده يحلق ذقنه أمام المرآة.

ولم يلتفت، ولكنها علمت أنه رآها في المرآة إذ أن عينيه اختلجتا لحظة قبل أن يقول: «ها قد استيقظت اخيراً. لقد كنت متعبة ومتوترة، وإنني مسرور ان امكنك الاسترخاء.»

إذن، فإن اهتمامه كان منحصراً في راحتها، وقلقها ذاك لم يكن سوى نتيجة لتصوراتها. وغمرت البهجة قلبها وهي تسير نحوه دون أن يسمع وقع قدميها الحافيتين على

الأرض المبلطة وقالت بهيام: «أين كنت؟ لقد اشتقت إليك.»

أجابها: «إنني لست مثلك، يا زوجتي، فهذه الزيارة ليست إجازة كاملة بالنسبة إليّ.» واستدار نحوها وقد ارتسمت على فمه ابتسامة ملتوية وهو يقول: «إن عندي كروم العنب، وقد أمضيت طيلة العصر مجتمعاً مع المدير في شأنها.»

يا لها من طريقة غريبة يمضي بها شهر العسل، وقد قال إنها لن تكون إجازة كاملة بالنسبة إليه. لهذا، ربما كانت هذه الساعات التي أمضاها في العمل، مغتنماً فيها فرصة خلودها إلى الراحة، ربما هي كل ما عليه القيام به، لكي يتفرغ بعد ذلك، لها وحدها.

وابتسمت له وقد تألق في عينيها كل الحب الذي تكنه له. ضغط زراً في جدار مغطى [illegible] وسرعان ما انزاحت جانباً كاشفة عن باب يقود إلى غرفة رجالية التنظيم والأثاث. وكانت ألوانها التي تتراوح بين مختلف طبقات البني والأصفر مضادة لألوان غرفتها الأزرق والأصفر الباهت. غرفتها! كانت الغرفتان متصلتين بهذا الحمام الفاخر. إنها لن تدعه يرى كم آلمها هذا. ولكنها عادت تفكر في محاولة للتخفيف عن نفسها، بأن كثيراً من الأزواج يفضلون غرفاً منفصلة بشرط أن يكونوا قادرين على توفير غرفتين للنوم.

قالت وقد أشرق وجهها وبان المكر في عينيها: «هل تحب غرفتك؟ ألا تحب أن ترى غرفتي؟»

أخذ يحدق متأملاً، ولكنه اكتفى بالقول: «ليس في غرفتك ما لا أعرفه، فأنا قد اعتدت زيارة هذه الفيلا على الدوام، فأنا أعرف كل ركن فيها. والآن أسرعي وارتدي ثيابك، لقد تأخرنا وروزا بذلت جهداً بالغاً في اعداد العشاء.»

www.liilas.com

انسحبت فينيتيا إلى غرفتها متجهمة الوجه وقد اغرورقت عيناها بالدموع، ومضت مرة أخرى، تختلق الاعذار، معتبرة أن لا شيء هناك سوى تخيلاتها الخصبة. انهما قد تأخرا فعلاً. فقد رقدت مدة أطول مما يجب، وطبعاً لا بد أن روزا قد اعدت عشاء فاخراً احتفالاً بهما.

وأخذت تذكر نفسها بكل هذا بينما كانت ترتدي ثيابها، وجاء الثوب الأسود يبرز أناقتها بكل دقة، وكان الحزام الذي ينزل من وسط صدرها ليلتف على خصرها النحيل مرصعاً بالأحجار الكريمة، ومن ثم أخذت تضع الزينة المناسبة على وجهها لتطمئن، بعد ذلك، إلى أن عيني كارلو الخلابتين لن تبقيا بعيدتين عنها هذه الليلة.

وحدثها الشوق الذي انبثق من عينيه حين رآها عن كل ما أرادت أن تعرفه، وذلك قبل أن تخمده ارادته القوية وهو يرافقها إلى غرفة الطعام.

منحته ابتسامة مشرقة وهي تتأمل وسامته عبر مائدة العشاء المستديرة المتألقة بالأزهار والشموع.

ولم تستطع فينيتيا أن تتكلم لفيض سعادتها، ولم تجد سوى أن تشغل نفسها بالتهام طعام روزا الشهي. ولكن رائحة البطارخ الشهية والأرضي شوكي، ومختلف الأطعمة اللذيذة، كل ذلك ضاع فيها هباء وهي تحاول أن تركز أفكارها على ما كان كارلو يحدثها به عن تاريخ الجزيرة.

ولكن لم يدخل في عقلها أي من هذا الكلام وهي تتمنى، أن تنتهي هذه الوجبة التي بدت دون نهاية. وأخيراً بعد أن أحضر لويجي القهوة، وانسحب هو وروزا من الغرفة، كانت لا تستطيع الحراك، فقد كان ارتياحها بالغاً.

نهض كارلو، وهو ينظر إليها بعينين ناعستين، يقدم إليها كوباً قائلاً: «يجب أن تجربي شيئاً من هذا العصير، واخبريني إذا كان يعجبك.»

وابتسمت له ابتسامة حلوة واهنة وهي تتناول منه الكوب قائلة: «هل تريد ذوقي من الناحية التجارية؟»

هز كتفيه دون اكتراث وهو يقول: «كما تشائين.» واستقرت نظراته على الابتسامة الخفيفة التي قوست شفتيها. وأخذت رشفة من العصير، ثم رفعت الكوب إلى شفتيه.

وتألق في لهب الشموع، خاتمها الذهبي الذي سبق وضعه في اصبعها هذا الصباح. ثم أخذ رشفة من الكوب التي وضعتها على شفتيه وهو يقول: «لنأمل أن يكون المستقبل مخبئاً لنا البهجة أكثر من الألم.»

فقالت وهي تراه يضع الكوب جانباً: «لا جدال في هذا.» ونظرت إليه بعينين ساحرتين ثم قالت بصوت يتدفق بالمشاعر: «لا تتحدث عن الألم. ان كل ما أريد أن أفعل هو ادخال السعادة إلى نفسك، يا حبيبي.»

وابتسم فجأة، وحنى رأسه ينظر في وجهها وقد التمعت في عينيه مشاعر بلغ عنفها أن شعرت بها تكاد تحرقها، وسلبتها كل قواها ليبلغ بها الوهن إلى حد أن كل ما أمكنها القيام به. هو التلفظ باسمه.

«كارلو...» ونطقت باسمه هامسة. فأخذ هو يتمتم بفيض من المشاعر: «يا للجمال الرائع. كل هذا لي... لي أنا؟»

إنه الحمّى التي تسري في دمها، إنه حبها، رفيق عمرها، الآن وإلى الأبد، ولقد أدركت هذا منذ ست سنوات، كما تأكدت من ذلك الآن.

وتصاعد الدم إلى وجنتيه وقد اشتبكت عيناه بعينيها

www.liilas.com

لحظة وارتسمت في عينيه السوداوين نظرة حب، في المقابل، تملكها شعور محموم سيطر عليها استجابة لنظرته تلك، ورأى هو ما حدث، وعرفت هي ذلك، لأن وجهه تغير... جمد وكأنه، لسبب ما، كان في انتظار هذه اللحظة. ثم، إذا بفمه يلتوي باحتقار وهو يقول ببرود قاتل: «أظن هذا يكفي.»

واستدار باشمئزاز... ونظرت هي إلى ملامحه الرومانية المترفعة، وفمه الذي ارتسم التفكير عليه، وذقنه الناتئة بكبرياء ثم امتلأت عيناها ارتباكاً وحيرة... لا يمكن أن يكون هذا قد حدث فعلاً...

ولكنه حدث.

وارتجفت بشدة لتسأله بصوت مذعور: «لماذا؟» وبدا تقريباً، وكأنه نسي وجودها أو أنه أخرجها من فكره تماماً، لأن جسده تصلب فجأة لدى سماعه صوتها الذي ينضح ألماً وكرباً، واستقامت كتفاه. ثم استدار إليها، ولكن ببطء شديد... ولم تستطع أن تفهم شيئاً من ملامحه، لأنه لم تكن هناك أية ملامح... كان هنالك قناع جامد لا إحساس فيه.

اشتبكت عيناه بعينيها لحظة قصيرة، وملأها الفراغ، الذي رأته فيهما رعباً جعلها تشعر وكأن عالمها قد تفجر كلياً وهي تسمعه يقول ببرود: «الانتقام، يا زوجتي، الانتقام.» ولمع شيء في عينيه السوداوين الغامضتين وهو يتابع قائلاً: «الانتقام لكونك أهنت كرامتي وذلك بسهولة، وعلى الدوام.»

www.liilas.com

ليلاس
LoOoLa

الفصل العاشر

شعرت فينيتيا بقسوة كارلو هذه كطعنة نجلاء في الصميم أحدثت فيها ألماً مريعاً سلب الدم من وجهها.

ملايين الأسئلة كانت تدور في رأسها، ولكن الصدمة كانت أكبر من أن تنطق بتلك الأسئلة. وتحركت شفتاها دون صوت، بينما كانت عينا كارلو الغائمتان تنتقلان ببطء من وجهها الشاحب إلى أخمص قدميها قبل أن يقول بلهجة لاذعة: «صدقيني ان منظرك هكذا لن يغويني أبداً. لقد انتهيت منك.»

جعلها هذا الإذلال تشعر باعتلال، وتمنت لو تتجمد في مكانها هذا حيث تقف. كما أن ذهنها كان من التشوش بحيث لم يمكنها أن تفعل أي شيء، ورفعت عينيها المذعورتين لتراه وقد ألقى بنفسه على كرسي كبير.

قالت بلهجة متوترة: «ولماذا؟ لماذا هذا الانتقام؟»

رفع كتفيه العريضتين يهزهما بما يغني عن الكلام وهو يسند رأسه إلى مسند المقعد، وكل خطوط وجهه تنضح بالنفور والبرود. وما أن شرعت حواسها المدمرة في الكفاح لكي تستوعب ما يعنيه بموقفه المتعالي هذا، حتى ابتدأ الغضب يفور في عروقها... وتنفست عميقاً.

أرادت أن تمزق ذلك القناع الكريه بأظفارها وتلقي به بعيداً لكي ترى الرجل الذي أحبت ولكنها سيطرت على مشاعرها، ثم قالت: «ماذا جرى للسانك؟»

تجاهل سخريتها ومضى ينظر إليها وهو يعبث بشفته

السفلى بأطراف أنامله، وأخيراً، قال بلهجة مهينة: «ربما لا تكون كلمة الانتقام هذه، تعبيراً مناسباً تماماً، وإن تكن تدخل في نفس الغرض، لقد كان الاهتمام بنصيبي من أموال شركة روس الانكليزية جزءاً من تصميمي على الزواج بك. ولولا هذا، لكنت أذعنت لإصرار كيرو على أن تبيعي نصيبك من الشركة وتخرجي منها لتلتحقي به فيما بعد. وقد سبق وتحدثتما عن بيع منزل العائلة، ولعلمي بمغامراتكما المستمرة معاً، أدركت أنه ليس في حاجة إلى كثير من الضغط عليك لكي توافقي على ترك الشركة لتذهبي معه. وقد سبق وعرف هو أن أيامه التي كان يستغل فيها منصبه، قد انتهت وولّت. ولم أشأ أن أسمح لهذا بأن يحدث. أليس كذلك؟» وأغمض عينيه وكأنما أدركه الضجر، ثم عاد يقول: «لا أظن أن ثمة شيئاً أكثر من هذا ليقال في هذا الموضوع».

واستنفد تركه والخروج من الغرفة، كل شجاعتها. إذ أنه لم يعد في استطاعتها أن تستمع إلى كلمة أخرى. ذلك أن كل كلمة قالها، وكل نظرة ألقاها عليها، وكل حركة، كل ذلك كان يمزق قلبها تمزيقاً حتى خشيت من الانهيار كلياً.

هذا ما لم تكن تريده... لم تكن تريد أن يحدث أمامه. ثم أمكنها، بصعوبة، أن تجد طريقها إلى غرفتها شاكرة أنها لم تصادف في طريقها أياً من روزا أو لويجي، فيكون في هذا منتهى الذل والعار.

كان كل ما تريده هو أن تنام. أن تغيب في طيات النسيان. أن تتخلص من الألم لما حدث. ولكن، ما أن مسحت زينة وجهها، حتى علمت أن الأمر ليس بهذه السهولة. لقد كان من المفروض أن يكون هذا اليوم أروع أيام حياتها.

لقد تكلم عن الانتقام. يا لهذه الكلمة الصغيرة كم تثير اشمئزازها. وشعرت، دون رغبة منها، أنها، مهما كان الأمر، يجب أن تسمع منه بالضبط لماذا يظن أن له الحق في ذلك.

إن عليها أن تعرف الحقيقة، قبل أن تتركه مطالبة بفسخ هذا الزواج.

واندفعت قبل أن تخونها شجاعتها، فشدّت حزام الروب ثم تخطت الحمام إلى غرفته. ولم يكن هو هناك. ولكن، هل توقعته حقاً أن يكون؟ ولكنها تستطيع الإنتظار. في استطاعتها الإنتظار طوال الليل... بقية حياتها إذا اقتضى الأمر، لأنها لن تعرف السلام ولا الراحة إذا هي لم تعرف مبرّراته. ولم تشهد لمحة من أعماق نفسه المظلمة.

وعندما تتأكد من ذلك، فهي لن تضيّع عليه أياً من مشاعرها، مرة أخرى، وستقتلعه من قلبها ومن حياتها. فقد قتل حبها وقضى على كل آمالها بقسوته التي ما زالت تقطع أنفاسها وعليه أن يشرح الأسباب.

كان الفجر قد ابتدأ يمد خيوطه عندما دخل، في النهاية الغرفة، وكانت أجفان فينيتيا قد تقرحتا من السهر، وتوترت أعصابها إلى درجة كادت معها تصرخ فيه قائلة، أين تراك كنت حتى الآن. ولكنها ابتلعت كلماتها هذه التي كانت تظهرها، لو نطقت بها، بمظهر الزوجة المتشككة.

وبدا العنف في عينيه اللتين توجهتا إليها من خلال ملامحه المنهكة، وهي مستندة إلى كومة الوسائد على سريره.

وقال بلهجة تهكمية: «آسف لضياع ليلتك هذه سدى.

www.liilas.com

أظنني كنت واضحاً حين قلت إنني لا أريدك في غرفتي أبداً.»

ردت وهي تتصنع التثاؤب: «هذا صحيح.» إن في امكانها أن تتحدث بمثل لهجته. وهو يبدو وكأنه أمضى ليلته في مكان بائس، فقد اختفت ربطة عنقه السوداء، وقميصه مفتوح عند العنق، وقد امتقع وجهه لشيء غير الإنهاك. ولسبب غير مفهوم، جعلها مظهر الإرهاق، والتعب من الحياة كلها الذي ظهر في عينيه، تشعر بجذل عميق لم تستطع تفسيره.

وأجابته: «إنني قادرة تماماً على التغلب على الخسارة والبدء من جديد.»

لقد سبق وأنلها تماماً، ولكنها لا تريده أن يدرك أنه استطاع ذلك. وهكذا أخذت تمعن النظر في ذلك الوجه العنيف المرهق، ثم ابتسمت، وهي تقول دون اهتمام: «إنك ربحت شيئاً وخسرت أشياء. فأنت لست الحصاة الوحيدة على شاطئي، يا عزيزي كارلو. ولكن قبل أن احزم امتعتي، أحب أن أعرف بالضبط ما الذي جعلك تعتقد أن لك الحق في أن تنتقم. إنك مدين لي بهذا التفسير بعد أن جعلتني احتمل عناء القيام بمسرحية الزفاف الهزلية هذه.» واستمراراً في قيامها بهذا الدور الطائش، ابتسمت ساخرة وهي تهز كتفيها بعدم اكتراث. وفجأة، عادت إلى الواقع الصارخ وهي ترى النظرة القطيعة في تلك العينين السوداوين.

وقال بمرارة لم يحاول اخفاءها: «أنت لم تتغيري، أليس كذلك؟ فالمرأة القذرة مرة، هي قذرة على الدوام.»

وتجمدت فينيتيا من شدة الانفعال. فقد انتهى تمثيلها القصير المدى ذاك... ورفعت يدها تصفع بها وجهه.

وشعرت بألم الصفعة في راحتها. بعد أن اصطدم جلدها الرقيق بلحيته النابتة. وسمعته يشتمها وقد امتدت يده تقبض على معصمها في رد وحشي على فعلتها، ثم تركها بسرعة، وكأن لمسه لها قد أثار اشمئزازه.

ارتجفت فينيتيا من الانفعال وهي واقعة على الأرض وقد انتشرت حولها أذيال الروب الأزرق الذي ترتديه. وسمعته يقول بصوت كالجليد: «لم يكن زفافنا مسرحية هزلية. وأنت تعرفين هذا. إنك زوجتي الشرعية وستبقين كذلك. فإياك أن تتحدثي عن حزم امتعتك إلا بعد أن اعطيك أمراً بأن تقومي بذلك. ولا تفكري بأن تستعيدي حريتك بالطلاق إلا إذا شئت أن تشاهدي العمل الذي سبق وأنشاه أبوك، وأبوه من قبل، ليكون على ما هو عليه الآن، أن تشاهدي ذلك يباع في المزاد حطاماً، وما يتبع ذلك من ضياع الكثير من الوظائف. وأرجو أن يكون كلامي هذا واضحاً.»

وكان يجول في أنحاء الغرفة. تجمعت الدموع في عينيها بشكل مؤلم، ولكنها أبداً لن تبكي أمامه. وقال: «لقد انتهينا الآن من هذا الموضوع. وسأوجه إليك سؤالاً. وجوابك الصادق عليه، تعلمين منه السبب في رغبتي بمعاقبتك.»

لم تكن تريد أن تجيب بأي شيء بعد إذ لم تعد أسبابه تهمها بشيء. وهل ثمة ما يهمها الآن؟

«حسناً، ما الذي تريد أن تعرفه؟» إنها ستقف على قدميها، لتنسحب بكل رزانة، إلى غرفتها بعد أن تشعر ساقاها بالقوة ويذهب عنهما هذا الارتخاء.

قال: «عندما كنت في الثامنة عشرة من عمرك، هل توسلت إليّ أن اتقرّب منك، قائلة إنك تحبينني؟»

www.liilas.com

كان هذا آخر سؤال توقعت أن تسمعه منه، وتجمد كل شيء حتى لم تعد تسمع صوت تنفسها. وأثناء الانتظار الصامت، أحست بمراقبته لها، وعلمت أنه إذا كان له هدف من وراء هذا السؤال، فهو ليس بالهدف السار.

أجابت ببلادة دون أي اهتمام: «إنك تعلم أنني فعلت.» ثم وقفت على قدميها، وهي ما زالت تترنح. إن فهمها له لم يزدد عن قبل. ولكن كان ثمة حدود لاحتمالها وهي في حاجة إلى ان تختلي بنفسها. عليها أن تفكر.

ولكنه تقدم ليقف أمامها معترضاً طريقها. وارتجفت. كان قريباً جداً منها، ولكنه أيضاً بعيد جداً... جداً.

قال بصوت تقطر منه المرارة: «حتى في ذلك الحين، كان لك سلوك الهرة القذر، فالرجل المحترم المكتمل الرجولة كان بالنسبة إليك، مثله مثل أي رجل آخر...» وهز كتفيه بخفة وهو يتابع: «إنني لم أنس قط ذلك المشهد، وإن كنت سامحتك. فقد كنت في الثامنة عشرة، وجعلت لك عذراً وهو أنك ربما لم تكوني تعرفين ما تفعلين...»

ردت بحدة وقد اختنق صوتها تقززاً وألماً: «إنك تهينني.»

فأجاب: «عجباً، هل فعلت ذلك؟»

وأرادت أن تخرج مارة به، ولكنه جمدها في مكانها بنظرة منه، وهو يكرر هامساً: «عجباً، يا زوجتي. إذا أنا لمستك فإنك سرعان ما تتجاوبين حتى مع الرجل الذي أذلك واحتقرك.» وشهقت وهي تبتعد عنه بعنف، ليأتيها صوته مدمراً أعصابها بقوله: «إن أي رجل يمكنه أن يفعل ذلك معك، أيتها الفاسقة الصغيرة، وأنا، على كل حال، ليس في نيتي أن أكون مطية لأية امرأة مهما كانت مرغوبة.»

وباشمئزاز بالغ، دفعت بيده جانباً وكتمت شهقة في صدرها وهي تسمعه يتابع بخشونة: «ولم تكن لديّ فكرة عن سلوكك عندما كانت ذكرى جمالك وعواطفك تعذبني طيلة السنوات الماضية. فقد كنت صدقتك حين تحدثت عن الحب. وكذلك ظننت نفسي أنني أحبك! إنك أغويتني بما عرضته عليّ... كم كان مقدار إغوائك لي.» ونضح صوته مرارة وعنفاً، ورمقته هي بنظرة من عينين فارغتين بان فيهما عدم الفهم، وهي تحاول الرجوع إلى الماضي. ولكنها أخفقت في ذلك. لأن الحاضر كان يدمرها ويمزقها تمزيقاً.

وبدت عيناه غير متسامحتين، وهو يتابع قائلاً: «ولكنني قمت بعمل مشرف. فقد تكلمت مع أبيك وأخبرته برغبتي في الزواج منك، وقد كان مسروراً لهذا، كما ظهر لي. لأنه لم يكن يعرف كيف كان سلوكك. وقد وافق معي على أن تدوم خطبتنا سنة على الأقل كفترة اختبار. ذلك أنني كنت ناضجاً بما فيه الكفاية لكي أثق بمشاعري. ولكنني شعرت بأنك في سن الثامنة عشرة ذاك، أصغر من أن تتحققي من مشاعرك.» وتابع ساخراً من نفسه كسيف قاطع: «كم كنت أحمق. فقد أسرعت إليك لأجدك تستمتعين مع كيرو.»

وكان صوته الآن قد ازداد برودة وانخفاضاً وهو يستطرد: «على كل حال، كما سبق وأوضحت لك، بعد أن شفيت من تلك الصدمة لكبريائي، سامحتك. ولكن، عندما عدت لحضور جنازة أبيك الذي كنت أحترمه، رأيتكما ما زلتما معاً. هل كان بينكما ميثاق غير مكتوب بأن تستمرا معاً بغير قيود؟ حتى أنكما تابعتما تلك العلاقة القذرة حتى بعد زواجه؟ هذا لا يهم... المهم هو المستقبل فقط.

www.liilas.com

فالفاسقة ستصبح طاهرة الآن. وإياك أن تفكري في اتخاذ حبيب، لأنني سأقتله دون ندم كما أسحق حشرة بقدمي هذه. وهذا، يا زوجتي، هو عقابك الذي تستحقينه لتفكيرك في محاولة استغفالي. وهذا هو انتقامي، يا عزيزتي.»

نظرت فينيتيا في عينيه بعجز، وقالت بصوت أبح: «لم يكن الأمر كما ظننت...»

ولكنه قاطعها ثائراً بشكل بذيء، وهو يقول بصوت خشن: «أعفيني من أكاذيبك القذرة. ربما كنت أصدق أنك تغيرت لو لم أفاجئكما في تلك الغرفة وأنت معه، لأسمعه يحاول أن يقنعك بألا تتزوجيني. ولو لم أرجع مبكراً عما كنت تتوقعين، لما علمت بخطتكما القذرة تلك. هل تراك دعوته إلى منزلك لكي تطمئنيه إلى أن علاقتكما ستبقى على ما هي عليه رغم زواجك بي؟ أن تشرحي له أن زواجك بي ما هو إلا لتوفير الاستقرار المادي الذي تحتاجينه؟ كنت إذن سأتزوجك مطمئناً إلى مستقبلي معك، ولكن عندما رأيتكما معاً، كل شيء تغير. طبعاً، كان ينبغي أن يتم الزواج، بالطبع. فقد تم اعلان ذلك، وابتدأت التدابير في شأنه. ولكن الأهم من ذلك، أنه يناسب خططي العملية، وهي رغبتي في إعادة دمج الشركتين معاً، وليس أقل من ذلك، إيجاد فرصة لمعاقبتك، وجعلك تدفعين ثمن عبثك وألاعيبك. ذلك أنه ليس ثمة شخص يمكن أن يحاول استغفالي، واسقاطي في الشرك، ثم ينجح في ذلك.» وتراجع إلى الخلف وهو يشتم مرة أخرى، وهو يتابع: «أخرجي من هنا، فهذا يكفيني. عودي إلى غرفتك وابدأي في إعداد نفسك لتحمل العيش مهجورة بقية حياتك الملوّثة.»

www.liilas.com

الفصل الحادي عشر

لم تعرف فينيتيا كم مضى عليها من الوقت وهي تمشي، وأين أصبحت الآن أو ما إذا كان في إمكانها أن تجد طريق العودة إلى الفيلا مرة أخرى. ولكنها لم تهتم بذلك.

كانت تسير وقد أجهدها التعب، والشمس تصب أشعتها من سماء زرقاء خالية من الغيوم. وكانت النسور تحوّم والأغنام ترعى الأعشاب. ولكنها كانت غافلة عن هذا كله. إنها لا تستطيع، ولا تريد أن تستمر على هذه الحال.

خلال اليومين اللذين امضتهما في سردينيا، رأت كارلو مرة واحدة فقط.. عدا عن تلك الليلة الأولى المفجعة، وكان ذلك أثناء عشاء أمس، وكانت هي المرة الوحيدة التي قام بها للحفاظ على المظاهر، وذلك بالتحدث معها، بتهذيب بالغ جعلها تريد أن تصرخ، يتحدث عما قام به في ذلك النهار، وأين كان قائلاً لها بلطف إنها ليست في حاجة إلى اعتبار نفسها سجينة وأن لويجي يصطحبها إلى أيّ مكان تريد، فهو يفهم قليلاً من الانكليزية، ولكنه ذكي بما فيه الكفاية ليفهم رغبتها في الذهاب إلى أي مكان خاص.

ولكنها لم تستمع ولم تدلِ بأي جواب، ولم تأكل سوى القليل، غير عابئة بما قد يظن لويجي وروزا بهذه العروس الغاضبة، وبذلك العريس الذي يغيب طيلة النهار، دون أن يهتم لشيء، إذ ما هي الفائدة؟ إن كارلو لا يمكن أن يستمع

http://www.liilas.com

لشيء يتعلق بالدفاع عن نفسها، ذلك أن فكرته عنها كانت من الرسوخ بحيث لا يمكن أن تتزحزح.

لقد أصبحت تكرهه، وهي ستكافح لأجل بقائها، وتنسى أنها أحبته مرة أكثر من نفسها، إنها لن تقع في الشرك هنا، فتكون زوجة مهجورة في بلد غريب. إن عليها أن تفعل شيئاً إزاء وضعها هذا ولكن بحذر. فهي لا تريد أن تعرض كل تلك الوظائف في شركتها إلى الخطر.

ليلة أمس، بعد أن انسحب لويجي وروزا تاركين إياها في مواجهة كارلو عبر مائدة العشاء، نهضت على قدميها، ملقية بفوطتها بجانب وجبة طعامها الذي لم يمس، ثم قالت له بلهجة فارغة من كل شعور: «من المؤسف أن كبرياءك قد أعمتك عن الحقيقة. لقد تزوجت من آنسة.»

www.liilas.com

وقطب حاجبيه بعنف جعلها تبتسم بوهن وهي تدير ظهرها إليه خارجة من الغرفة، لتقول له من فوق كتفها: «وأنت الآن لن تكتشف أبداً ما إذا كنت أنا أقول الحقيقة. فاستمتع بانتقامك هذا الذي أرجو أن يدفئك في الليالي.»

إنها المرة الأخيرة التي ستكلمه، وهذا عهد منها.

وتنهدت وهي تدعك جبينها الحار بأطراف أناملها. لقد كرست نفسها هذا النهار لتضع حلاً لمشكلاتها. وها هي قد وجدته. ورأت، وهي تقف على قمة هضبة حجرية، الفيلا أمامها، على بعد نصف ميل أو حوالي ذلك، ما جعلها تتفاءل. لقد عادت ادراجها في نفس اللحظة التي تكاملت خطتها عن كيفية رحيلها من هنا.

وقابلتها روزا وهي تسرع داخلة من الباب الرئيسي، كان الوقت منتصف النهار تقريباً وتبعاً للطريقة التي مر بها نهار

أمس، فإن كارلو لن يظهر إلا قبيل العشاء. فهو يمضي النهار مع مستخدميه في الكروم، واصدقائه، ليبقى بعيداً عنها قدر استطاعته.

سألتها روزا مستطلعة: «الغداء؟» ولكن فينيتيا هزت رأسها طالبة بالإشارة التحدث هاتفياً. وأومأت روزا وقد فهمت ما تريد، ثم سارت أمامها إلى مكتب ضخم حيث أخذت تفتش في دليل الهاتف إلى أن عثرت على الرقم الذي تريد.

قبل زفافها بأسابيع أخذت تقرأ كل ما وجدته من كتيبات الرحلات المتعلقة بسردينيا، وعلمت أن هنالك رحلات متعددة داخلية بين الغيرو وكالياري ولهذا لم يكن ثمة داع للقلق، ولكنها كانت تريد اتصالاً بلندن وأمكنها الحصول عليه ولكن الغريب أنها لم تشعر بكثير من الارتياح لذلك.

هناك وقت كاف. فإن الرحلة إلى لندن لن تقلع باكراً، ولكنها لم تشأ أن تتأخر. إنها لا تستطيع الانتظار، وشكرت حظها على بعد نظرها الذي جعلها تحضر معها شيكات سياحية.

واستبدلت ملابسها بسرعة لترتدي بنطالاً خفيفاً أبيض وقميصاً حريرياً أسود، ووضعت أغراضها الخاصة في حقيبة الكتف الجلدية واضعة على ذراعها جاكتة ملونة، دون أن تهتم بأن تأخذ معها أياً من ثيابها التي أحضرتها معها لشهر العسل الذي لم يتم.

وكانت كتابة رسالة إلى كارلو أول ما قامت به، راجية أن تكون كافية لكي تمنعه من أن يندفع في تدمير أعمال الأسرة وإثارة الشغب هناك في انكلترا. وقد اعلنت في رسالتها أنها لن تسعى إلى الطلاق وستبقى، صورياً زوجته. وستستمر

www.liilas.com

في العمل في شركة روس الانكليزية تحت إدارته هو، وهي مستعدة لرؤيته في أي وقت يرى هو فيه ضرورة لذلك.

ثم ألصقت المغلف وتركته على فراشه.

وقالت للويجي الذي كان في المرآب هو يغسل سيارة الليموزين: «المطار.» وبدت عليه الحيرة وهو يقول مستفهماً: «سنيورا؟» وقطبت هي حاجبيها وأخذت تشير إليه بيدها مقلدة هدير الطائرة وهي تعلو، وأومأ لويجي برأسه قائلاً: «المطار، لقد فهمت.» ولكن الحيرة بقيت على وجهه وهو يسدل كمي قميصه الأبيض ويتناول جاكتته من على مسمار خلف أحد الأبواب. وأمضيا الطريق صامتين، وقد سرها أن كلاً منهما لا يفهم لغة الآخر.

ولكنه أخذ يتسكع حولها أثناء شرائها تذكرة السفر، كما يفعل أي حارس يقظ. ودفعت ثمن تذكرة السفر إلى كالياري، بينما وقف هو يراقبها وهي تخطو نحو الطائرة. وقفت وقد اغرورقت عيناها بالدموع. لا يمكنها أبداً أن ترحل بهذا الشكل وبكل هذه البساطة. إن عليها، بأي شكل كان، أن تحاول افهامه أنها لم تكن كما يظنها.

وبينما هي تعدل من وضع الجاكتة على ذراعها، شعرت بيد على ذراعها وسمعت صوتاً يقول شيئاً بالإيطالية فنظرت لترى الاهتمام في عيني المضيفة الجوية.

وتمتمت وهي تمسح دموعها التي أخذت تتدفق دون توقف: «إنني آسفة.» وأخذت تكرر بغباء: «إنني آسفة.»

ابتسمت لها الفتاة ذات العينين السوداوين وهي تقول بعطف: «آه... انكليزية. انك لست على ما يرام.» وعلمت فينيتيا أن مكانها لا ينبغي أن يكون هنا. فهي ليست

جبانة في العادة. إن عليها أن تجد كارلو، وأن تقنعه. وهزت رأسها وهي تتراجع إلى الخلف، قائلة بصوت خشن مرتجف: «إنني آسفة. لا يمكنني أن أقوم بهذه الرحلة. لقد أدركت على التو...» واستدارت عائدة لتسير بسرعة في ظلال المباني، ومن حسن الحظ أن لويجي لم ينتظر رؤية الطائرة تتحرك، ولم يكن ثمة أثر للسيارة. فقد كان آخر شيء تريده، هو أن تعود، محروسة، إلى الفيلا مباشرة.

ولم تجد مشكلة في العثور على سيارة إلى الغيرو، ومن حسن الحظ أنها كانت أحضرت معها مبلغاً من النقود لكي تشتري تذكارات لأصدقائها عندما تعود إلى الوطن.

انزلها سائق سيارة الاجرة في وسط منتجع عام عامر بالناس. ولو كانت ظروفها غير ما هي عليه، لوجدت تسلية كبرى في الجلوس والتفرج على المباني المختلطة الطراز بين الحديث والقديم، المدينة القديمة مع حصونها، الشوارع الضيقة بأبراجها المهيبة. ولكنها كانت بعيدة عن الظروف العادية، وأخذت تجول في الأنحاء دون هدف معين، لتقودها خطاها نحو المرفأ.

وعند مقهى على الرصيف، جلست إلى منضدة تحت مظلة مخططة، ثم طلبت كوب عصير نسيت أن تشربه.

وشعرت بالهدوء، ولكنه كان هدوء القبول بالهزيمة، كما أدركت. القبول بالألم الدائم بين أضلعها.

كانت ثورتها على ما فعله كارلو قد خمدت الآن. وكل ما بقي منها هو حزن مروّع. لقد كان أمامهما حظ كبير ذات يوم. وكلمات كارلو ما زالت في مسامعها وهو يقول إنه

www.liilas.com

يعتقد بأنه كان يحبها منذ ست سنوات، وكان ينتظرها. لقد أراد ذات يوم أن يتزوجها لأنه كان يحبها فعلاً. كان هذا منذ وقت طويل، وبعد ذلك بست سنوات، عرض عليها الزواج، حقاً إنه أراد أن يسيطر على الشركة، ولكنه كان أيضاً يريدها. إنها متأكدة من أنه سيحبها يوما ما، خصوصاً إذا هي استطاعت أن تقنعه بأن ماضيها لم يكن كما يظنه، وأن سيمون، مرة أخرى، هو الذي دمّر كل شيء بالنسبة إليها.

وتحركت في مقعدها بضيق، وعيناها الفارغتان لا تريان شيئاً مما حولها من المناظر، فقد كانتا تائهتين في الماضي، تنوحان على ما كان يمكن أن يكون.

إنها ترى الآن، وبكل وضوح، ما عليه سيمون من نفاق وجشع للمال. فعندما كانت في الثامنة عشرة، كان لا يكاد يكف عن التحرش بها. ليس لأنه كان يكنّ لها أي شعور حقيقي، وإنما لأنه كان مكلفاً بحراستها، فوجد في ذلك، فرصة مناسبة، ذلك أن الزواج من ابنة رئيسه هو فرصة العمر. وقد أخفى هدفه ذاك أثناء السنوات التي تلت لكي يستعيد ثقتها به عارضاً نفسه لمساعدتها عندما التحق بالشركة، وهو يخدعها، طيلة الوقت بتصرفاته المصطنعة تجاهها. حتى عندما أوقعته أنجي في فخ الزواج، لم يتخل عن هدفه هذا كلياً، إذ أن أول ما قام به، بعد أن طرده كارلو من الشركة، هو أن أتى إليها عارضاً عليها الزواج.

ولكن، لم يعد في امكانها حتى أن تستجمع ما يكفي من الغضب لكي تصلح من تلك الأمور المنحرفة الملتوية، ذلك أن

مشاعرها كانت مضطربة للغاية ولم يبق في نفسها سوى القنوط. هذا إلى أمل ضعيف في أن كارلو قد يقتنع أخيراً، بشكل ما، بأن يستمع إلى القصة بلسانها هي.

كان على الخوان المجاور لها، شخص، يستمع إلى الموسيقى من خلال راديو لتتوقف هذه فجأة، محدثة خشخشة مفاجئة تبعها صمت قصير عاد بعده المذيع يدلي بخبر مستعجل... لا بد أنه كان خبراً سيئاً كما أدركت فينيتيا من ردة الفعل الهائجة من الحاضرين حولها.

وشهقت فينيتيا وقد نسيت هذه الانفعالات البسيطة حولها، عندما ارتفعت اصوات غير مفهومة في هذه الحلبة الغوغائية... ما الذي يا ترى هز هذه الجموع هكذا؟

وتصلبت اعضاؤها من طول الجلوس كما أدركت من نظرات النادل الجانبية المتشككة نحوها، ولم تكن لديها فكرة عن طول المدة التي أمضتها هنا، ولكن الشمس كانت في قبة السماء، وعليها أن تستعجل في العثور على سيارة تقلها إلى المنزل قبل أن يعود كارلو.

وبعد أن أخذت رشفة من كوب العصير، حملت حقيبتها ثم وقفت تحرك أعضاءها المتصلبة. تاركة اكرامية تعويضاً عن تأخرها هذا في شغل الخوان. ان عليها أن تذهب لتجعل كارلو يستمع إليها، آملة أن يتخلى عن مرارته، مؤقتاً، لكي يستمع إليها. واعترفت لنفسها وقد غمرتها التعاسة، وهي تسير نحو حافة الرصيف تستدعي سيارة بأنها ربما أفسدت، بأقوالها دفاعها عن نفسها، وذلك رداً على تلك العاصفة الكلامية التي وجهها إليها، مما قوى من فكرته الراسخة تلك عنها. كل ذلك زاد من صعوبة مهمتها ألف مرة،

www.liilas.com

لا أمل في هذا، فهل من الضرورة أن تحاول؟ ربما من الأفضل لها أن تتبع خطتها الأولى وتكمل طريقها إلى كالياري، ولكنها الآن قد تأخرت كثيراً عن اللحاق بالرحلة الليلية إلى لندن، ولكنها إذا هي استعملت شيكاتها السياحية الدولية، ففي إمكانها أن تبيت ليلتها في فندق في انتظار أول رحلة تالية إلى الوطن، ومنعها التردد من أن تتحرك من مكانها في الطريق، غافلة عن حركة السير المندفعة حولها، إلى أن جعلها صرير كابح سيارة، وصفق بابها في وجهها تماماً، جعلها تتراجع إلى الخلف مصطدمة بإحدى موائد المقهى.

حك مسمعها هذا الهتاف حين انقض عليها جسد رجل قوي وتمسكت بها أصابع من فولاذ. وتوقفت أنفاس فينيتيا وهي ترى كارلو هو الذي انقض عليها تاركاً سيارته منحرفة وسط الطريق، لا بد أنه قد عاد إلى منزله مبكراً عن نهار أمس، ليكتشف ما فعلت فجاء يسحبها عائداً بها. عائداً إلى الفيلا لاستكمال انتقامه. وحاولت أن تضربه لتبعده عنها، ولكن قبضتيها الصغيرتين كانتا أعجز من أن تحرك جسده الذي لا يتزحزح.

وعاد هو يهتف وذراعاه القويتان تجرانها إليه: «فينيتيا، آه...» ونظر إليها غير مصدق وشفتاه تتمتمان بكلمات الاعزاز والملاطفة بلغته، وقد تدفق صوته بالمشاعر، وهو يتابع: «أهذه أنت حقاً؟ أرجو ألاّ أكون حالماً.»

وكانت هي ترتجف بين ذراعيه دون أن تفهم شيئاً. لقد كان ممسكاً بها وكأنه لن يدعها تذهب على الاطلاق، وقد

نسي كل شيء عن التأديب والانتقام، أو هكذا بدا عليه. ثم تركها، على الرغم منه، ولكن، ليتمكن من التمعن في وجهها بعينيه المنهكتين المتقرحتي الأجفان.

رفعت أنظارها تحدق فيه ومازالت ترتجف دون أن تصدق ما يحدث، وقد صدمت تماماً لمرأى عينيه تتألقان بالدموع. واختنقت بالدموع وهي تسمعه يقول لها: «لقد ظننتك ميتة... ميتة، أو على الأقل، في خطر الموت. لقد كنت سأقتل نفسي من الحزن.»

واختنقت أنفاسها في صدرها وهي تقول بصوت أجش لا يكاد يسمع: «كارلو... أنا لا أفهم شيئاً. لماذا ظننتني مت؟» ذلك أنها لم تفهم شيئاً، فعلاً، إلى أن أجابها بسرعة، وصوته ما زال يرتجف: «لقد أمضيت فترة الصباح في الكروم عاملاً لكي أبعد التفكير عن نفسي. لقد كان العقاب الذي خططت له يؤنبني أنا أكثر بكثير مما يؤذيك، وفجأة أدركت ان عليّ ان أضع حداً له. أدركت فجأة أنني كنت من العمى بحيث منعني من أن أرى... أن أرى أنني أحببتك أكثر مما أحببت أية امرأة أخرى. كنت أنكر نفسي أكثر كثيراً مما كنت أنكرك، وانني لا أهتم بماضيك ما دمت ستكونين مخلصة لي وحدي في المستقبل. وعدت على الفور إلى الفيلا مصمماً على أن أطلب منك أن تسامحيني. ومن ثم نبدأ حياتنا الزوجية.»

وتألقت في عينيه نظرة تملك حازمة وابتدأ اللون يعود تدريجياً إلى وجهه الشاحب.

وقال لها بخشونة: «لا تنظري إليّ هكذا. انني أريد أن تمنحيني شيئاً من الأمل.»

www.liilas.com
www.liilas.com

وبدت في لهجته من الغطرسة ما جعل ابتسامة خفيفة تلوح على شفتيها الممتلئتين.

وقال بخشونة، بينما شعرت هي برجفة عنيفة تسري في جسده: «ما زال هنالك شيء. لقد عدت إلى الفيلا، وسألت عنك، فأخبرني لويجي أنك ذهبت إلى المطار، وأنه أخذك بنفسه إلى هناك ورآك تشترين تذكرة إلى كالياري. وكان يعتقد أنني لا بد كنت على علم بذلك. كنت ما أزال متمالكاً نفسي حتى بعد أن قرأت رسالتك. واتصلت بالمطار طالباً تجهيز طائرة روسي الخاصة، للطيران. ثم اتصلت بطيار الشركة لكي يستعد حالاً. كنت أحسب أنه ما زال أمامي وقت كاف لأمنعك من متابعة السفر إلى لندن، حيث أنها لا بد وجهة سفرك كما خمنت عند ذلك، علمت أن الطائرة التي من المفروض انك على متنها، قد تحطمت وهي تهبط المطار، ليقتل من فيها، أو تبتر أطراف أفراد طاقم الطائرة، والركاب. وعند ذلك... عند ذلك علمت أنني أحببتك اكثر من الحياة نفسها... وأنني فقدتك، دون أن استطيع أن اخبرك بتلك الحقيقة البسيطة. لقد تمنيت أن أموت عند ذاك.»

وهتفت: «آه، كارلو.» ورفعت وجهها تتأمله، إنه يحبها، وهذا هو كل ما يهمها، ثم ارتجفت بعنف، بعد أن فهمت الآن فقط ما تضمنه كلامه لها هذا. عادت تقول: «ولكن، ما الذي كنت تفعله هنا؟ هل كنت تبحث عني؟» ولم يكن هذا يعني أنها مهتمة بذلك، بطبيعة الحال. فقد كان كل ما يهمها الآن أنه، حين ظنها على متن تلك الطائرة، أدرك مبلغ حبه لها.

وقال بصوت أبح: «إنني لم أكن أبحث عنك. كنت في طريقي إلى المطار... كنت كالمعتوه. يجب أن اعترف بهذا. كان الأمل الوحيد الذي راودني، هو أن أجدك حية مهما كان مقدار اصابتك، وعند ذلك سأدور في العالم لكي أعالجك. وأتوسل إليك أن تمنحيني الفرصة لكي أجعلك تحبينني. تصفحين عني. ثم إذا بأنظاري تقع عليك. تقع عليك واقفة هناك. لقد ظننتك شبحاً... لم استطع أن اصدق انك أنت أنت بلحمك ودمك... وأنك مازلت حية. عديني أن تمنحيني الفرصة لكي أصلح كل شيء، امنحيني فرصة أجعلك فيها تحبينني كما كنت قبلاً. وأظنك أحببتني قليلاً من قبل. فهل ستحاولين ذلك؟ أرجوك.»

كارلو... حبيبها... يخضع بهذا الشكل؟ وتألقت عيناها الكحيلتان بابتسامة وهي تمعن النظر في أعماق عينيه، وسرها أن ترى كل تلك الكبرياء المثبطة تعود إليهما عندما قالت ببساطة: «ليس في ذلك أية مشكلة. لقد حاولت أن أتوقف عن حبك. ولكنني لم أستطع.»

وتوهج وجهها احمراراً. إذ منذ اللحظة التي قفز فيها كارلو من السيارة ابتدأ الناس يتجمعون حولهما. والآن، كانت مجموعة من المتفرجين يدقون بأقدامهم ويصفقون بأيديهم ويصفرون ويحيون. ثم ابتدأت أبواق السيارات تزعق مشتركة في المنافسة بعد أن أوقف السائقون سياراتهم ليروا ما الأمر، معرقلين حركة السير التي كانت سيارة كارلو الليموزين قد سبق وأعاقتها منحرفة في ذلك الشارع الضيق، ولكن لم يكن هنالك أثر من الحرج في نفس كارلو كما لاحظت هي بإعجاب. وابتدأ شعورها هي

www.liilas.com

بالحرج يتراجع عندما أخذ هو، بكبريائه الايطالية، ينحني لتلك الجموع في كل النواحي، وعلى شفتيه ابتسامة البطل الغازي المنتصر، وقد رفع رأسه بغطرسة، آخذاً بيدها يدسها تحت ذراعه، وهو يخترق بها تلك الجموع المهللة التي كانت تتدافع أمامهما إلى الخلف على الجانبين لتسمح لهما بالمرور.

وكانت الابتسامة العريضة ما زالت على شفتيه بعد أن استقامت حركة السير، ليتجها نحو الفيلا. عند ذلك قال بشيء من الجد: «إنه القدر. كل شيء كان مقدراً منذ رأيتك تدخلين الغرفة، منذ ست سنوات خلت، متجهة نحوي بتلك المشية المهتزة ثم تقبلينني مرحبة بي. أظن أنني، منذ تلك اللحظة، قد غرقت في حبك. آه...» ومنحها ابتسامة مشرقة قبل أن يعيد انتباهه إلى حركة السير، وهو يستطرد: «حاولت أن أقاوم مشاعري تلك. وأخذت أحدث نفسي بأن أبقيك بعيدة عني. فقد كنت صغيرة جداً بالنسبة إليّ، وأصغر من أن تدركي حقيقة مشاعرك، ولا أقول تأثيرك عليّ. ما الذي فعلته بي! ثم...» وأظلم وجهه وهو يتابع: «بعد أن اقتنعت عقلياً بأن لا مناص من ذلك، وتحدثت مع أبيك، وجدتك مع سيمون. وكان شعوري بالذل والمرارة عنيفاً.... كما أدركت ذلك الآن.»

وأوشكت فينيتيا على البكاء، لو أنها فقط، لم تمنع أباها من الاتيان على ذكر اسمه في حضورها، لعلمت بحديثه ذاك مع أبيها بالنسبة إلى طلبه يدها. وكان في امكانها أن تصلح الأمور... وربما كانت كتبت إليه تشرح له كل شيء قبل فوات الأوان، قبل أن تتحجر أعماقه!

www.liilas.com

والآن، حان الوقت لكي توضع كل الأمور في نصابها. وابتدأت قولها: «كارلو، بالنسبة إلى سيمون،...»

فقاطعها بخشونة: «فليذهب سيمون إلى المجهول، لقد أصبح شيئاً من الماضي. إنني لم أرجع إلى انكلترا ناوياً الانتقام. أريدك أن تفهمي ذلك. لقد جئت، أولاً، لحضور جنازة أبيك الذي كنت أحترمه كثيراً. ثم كنت في حاجة إلى أن استطلع الوسائل التي يمكنني معها أن اثبت من وضع شركتكم مالياً. كما أن والدك قد توفي دون أن يكمل عمله مع كيرو. وقد دهشت في الواقع، للمرارة التي شعرت بها عندما رأيتكما أنت وكيرو معاً. وعند ذلك أدركت كيف أنك أفسدت شعوري نحو سائر النساء. ومن ثم أخذت تنشأ في ذهني فكرة الزواج بك لدمج الشركتين معاً. ولم أدرك الدافع الحقيقي إلى فكرة الزواج بك إلا هذا الصباح بعد أن ادركت حقيقة شعوري. وعندما قطعت رحلتي، لشوقي إليك، وجدت أنك قد حددت موعداً مع كيرو... وإلا ما الذي جعله يأتي إليك بينما أنت مستعدة لاستقباله وفتح الباب له على الفور.»

بدا في صوته العنف، وفكرت فينيتيا، ها نحن عدنا، مرة أخرى! وتساءلت عما إذا كانت آخر محاولة تجريها ستجعله يستمع إلى الحقيقة. وتابع قائلاً: «عندما دخلت ورأيتك معه، وسمعت الأشياء الجنونية التي كان يقولها لك، كان أول ما خطر لي هو أن أغسل يديّ منك، كما فعلت سابقاً. ولكن هذه الفكرة سرعان ما تلاشت من ذهني، لتستقر فجأة فكرة الانتقام من المرأة التي لم اكن قد أدركت بعد أن حبها ما زال يسري في دمي منذ سنوات... وأنا الآن

ارفض الحديث عن الماضي مرة أخرى، أو حتى التفكير فيه. إن مستقبلنا هو المهم، وحياتنا قد ابتدأت الآن، وأنا أريد أن أتأكد تماماً من أنك لن تنظري إلى رجل آخر مرة أخرى. فأنا سأكون حسب ما تريدينني أن أكون تماماً.»

وبدا في عينيه نظرة عتاب وهو يتابع قائلاً: «لماذا جعلتني اعتقد بأنك دون أخلاق كلياً.»

فاعترفت قائلة: «أظنني كنت حمقاء.» وأغمضت عينيها برهة ثم عادت تقول: «في آخر مرة رأيتك فيها، ألقيت عليّ نظرة وكأنك تعتبرني فتاة عابثة، لا تستحق حتى الاحتقار. وعندما رأيتك مرة أخرى، أدركت أنه لم يتغير شيء. كنت ما تزال بالنسبة إليّ الرجل الوحيد في العالم، بينما كنت أنت ما تزال تنظر إليّ بازدراء. وأظنني قلت تلك الأشياء من باب الدفاع عن النفس. كان ذلك غباء مني، أليس كذلك؟»

فأجاب: «لقد كنا، نحن الاثنان غبيين. لقد جعلنا الحب أحمقين. ولكن حبي لك جعلني أقرر، في النهاية. أن أنسى كل أخطاء ماضيك، ونبدأ من جديد على أن أتأكد من أنك ستبقين لي وحدي في المستقبل. وحتى هذا النهار، لم أصدق أنك كنت دائماً في دمي طيلة ست سنوات، حتى عندما رأيتك مع كيرو، للمرة الثانية، وأقسمت أن أتزوجك لكي أعاقبك، لم أكن صادقاً مع نفسي تماماً. فالحقيقة هي أنني كنت أريد امتلاكك واحتجازك لنفسي مهما كانت الظروف. ما ظننت في نفسي قط الغباء من قبل. ولكن، حتى في الليلة التي سألتك فيها أن تتزوجيني وذهبت إلى غرفتك لأضع طلبي الزواج منك في قالب اكثر رقة، ولم أجدك في المنزل،

وكدت أجن من القلق، لم أدرك مبلغ حبي لك. لقد كنت أظن أن شعوري هو مجرد رغبة، واستوجب الأمر تحطم طائرة لكي أدرك انني احبك اكثر من حياتي.» واهتز جسمه وقد بدت في عينيه نظرة كئيبة قبل أن يقول: «ولكن هنالك شيء يحيرني. لقد عرفت الآن أنني أول رجل في حياتك ولكن، ماذا كان يحدث بينك وبين ذلك الصعلوك عندما رأيتكما معاً مرتين؟»

وهكذا حدثته بكل شيء دون نقصان، وهي تضيف: «منذ ذلك الحين، لم أعد ألقي نظرة عليه، لمدة سنتين. لقد تركت الحياة الاجتماعية وابتدأت في العمل. حاولت أن أغير نفسي. حاولت أن أتوقف عن حبك. أما في المرة الثانية، فلا بد أنه كان في منتهى اليأس. فقد عمله حسب ما يستحق وربما أدرك أنه لن يحصل أبداً على شهادة حسن سلوك. وكان زواجه ينهار، و... حسناً، أظن أنه فكر في تجربة حظه، فحاول أن يجعلني اعتقد أنه كان يحبني على الدوام، ولم يغفل عن التلميح بأنك إنما تريد أن تتزوجني لأسباب تتعلق بمصلحة العمل فقط.»

وابتسمت له. وهي تفكر في أنه، أخيراً، قد فهم كل شيء. وأضافت تقول: «لقد كان عوناً كبيراً لي عندما كنت أتدرب على العمل. وكان سنداً قوياً حين وفاة والدي. وكنت قد ابتدأت انظر إليه كصديق، ولكن لا شيء اكثر من ذلك، ولم يحدث قط أن فكرت فيه ولو قليلاً.»

والتفت إليها يسألها بعينين تتألقان بالحب: «ولماذا لم تشرحي لي كل هذا؟»

فأجابت: «لقد حاولت ذلك. ألا تذكر؟ أكثر من ست مرات

www.liilas.com

توقفت بعدها عن المحاولة وتركتك لتكتشف ذلك بنفسك.»

فقال بصوت خشن: «يا للفاتنة. ان السيطرة عليك لا تحتاج إلى جهد.»

فقالت: «ولكنك ستجرب دون شك.»

وعاد يؤكد لها حبه إذ همس في أذنها: «حبيبتي... حبيبتي إلى الأبد.»

تمت

ليلاس

LoOoLa

www.liilas.co